كتب للشباب

الشباب والجنس

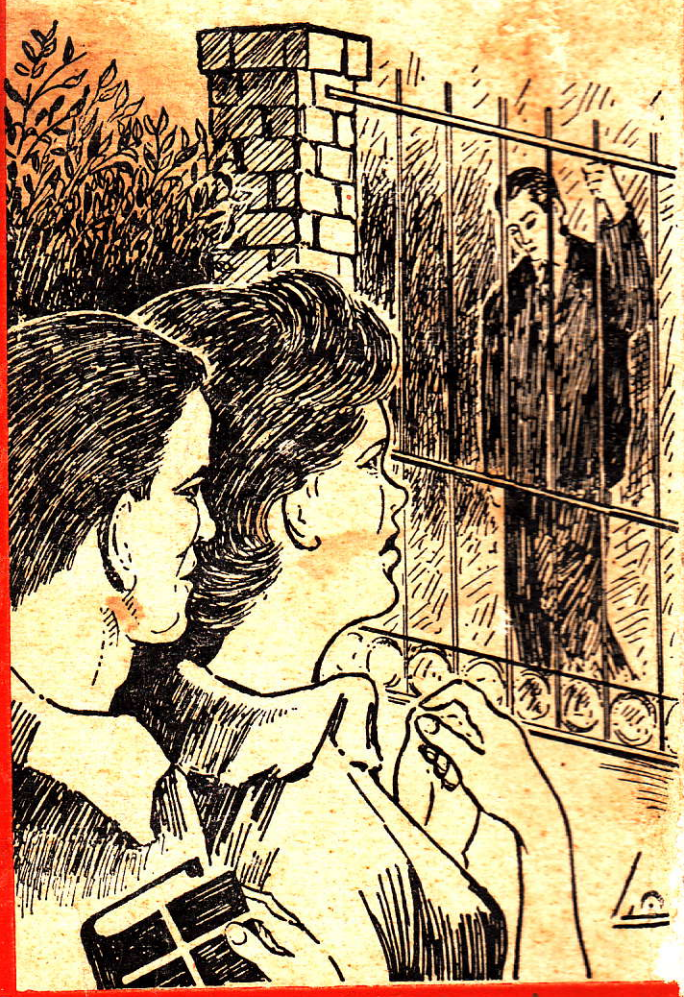

تأليف
الأستاذ سليمان نسيم
دكتور سمير نمر

مكتبة المحبة

http://coptic-treasures.com

هذه السلسلة من كتب الشباب

الشباب التقى هو قوة الوطن وذخيرته، وهو — فى الآن نفسه — عدة الكنيسة وثمارها. يقول القديس يوحنا الحبيب: « كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير » [١ يو ٢ : ١٤].

وقوة الشباب مرجعها إلى أن الشباب هو ربيع العمر ونضجه، فيه يصل الإنسان إلى ملء قوته جسمياً ونفسياً بل وروحياً أيضاً كقول الوحى الإلهى: « أذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تجئ السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور » [جامعة ١٢ : ١]. وفى هذا يقول أحد الحكماء: « ازرع شباباً طاهراً تحصد شيخوخة صالحة » ومن هنا توفر للكثيرين من الشيوخ الفضلاء شباب الفكر والارادة، كما ضاعت عن كثيرين من الشباب المنحرف صفات القوة والكمال، فحقاً صدق أحد المفكرين حين قال: « إن الشباب ليس مجرد مرحلة من العمر، وإنما هو أولا شباب الفكر والارادة ».

http://coptic-treasures.com

لذلك كان توجيه الشباب ، والأخذ بيده إلى الحياة الأفضل ، واجباً مقدساً على الخدام والآباء والرعاة والمربين ، كل فى مجاله ، حتى يعيش عمره على أسس الفضيلة ويتطلع إلى مثل الحياة المسيحية يفهمها ويعيها ويتعمقها ، ويربط بينها وبين كل مظاهر نموه من النواحى البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية حتى إذا مارس هذه المثل سلوكاً عملياً تحقق له التكامل المنشود ، وتحققت له بالتالى وحدة الشخصية فى إطار الكمال المسيحى ، فلا يعيش ممزقاً حائراً بين مثاليات نظرية ، وبين واقعية تبعد كل البعد عن هذه المثاليات ، ولو تكاملت المثاليات مع الواقع ، داخل الاطار المسيحى ، لأمكن للشاب أن يعيش إيمانه بالروح والفكر والسلوك .

وهذا هو الهدف الأساسى من هذه السلسلة التى يتعاون على إصدارها مع مكتبة المحبة ، مجموعة من الخدام والمربين المعروفين بخبرتهم الروحية ، ودراساتهم العلمية والنفسية ، فضلا عن خدمتهم الطويلة بين الشباب .

وتنتظم هذه السلسلة عدداً من الموضوعات الشبابية المنتقاة عولجت على أساس وحدة الفكرة والهدف لتخرج مترابطة يكمل كل موضوع منها الموضوع السابق له ، كما يمهد للموضوع اللاحق .

وإننا لنرجو أن تثير هذه الموضوعات تفكير الشباب ، وأن تصحح ما قد يكون قد رسب فى نفسه من مفاهيم خاطئة ، وأفكار غير دقيقة ، وأن تحقق التلاحم بينه وبين القيم الروحية السليمة ليناقشها فى عمق ، ويطبقها عن اقتناع ، ليصل فى النهاية إلى أسلوب الحياة القوية المنتصرة التى أرادها القديس يوحنا الحبيب ، أى أن يعيش كل شاب فترة شبابه قوياً منتصراً ، تظهر فى حياته ثمار النعمة الغالبة ، وبركات الفداء العظيم .

وإذ تتقدم مكتبة المحبة للعزة الالهية بالشكر العميق على أن تحقق هذا المشروع النافع للشباب ، لا تنسى أن تقدر الجهد الكبير الذى بذله السادة الكتاب ، من الآباء والأخوة ، ممن عاونوها بأقلامهم وخبراتهم على أن تخرج هذه السلسلة من الكتب ، فلتكن بركة وبنيانا للكثيرين ، بل وواسطة خلاص ونمو لكل من يقرأها ؟

١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩
ذكرى عيد النيروز المجيد

http://coptic-treasures.com

تقديم هذه الدراسة

هذا هو الكتاب الأول فى سلسلة كتب « للشباب » ، وهى السلسلة التى تستهدف تقديم دراسة واضحة ، سلسة ، تجمع بين القيم الروحية المسيحية ، وبين السلوك العملى ؛ للموضوعات التى تهم الشاب ، فى فترة من أدق فترات تاريخنا المعاصر : فترة التحول إلى الحياة الاشتراكية وما يصحبها من صراعات متعددة ، فردية شخصية وطبقية اجتماعية ، مما يزيد من معاناة النفس وجهادها ، خاصة وقد اقترن هذا التحول بتقدم علمى جبار هز النفس الانسانية من الأعماق ، وخلخل معتقداتها ، وكاد غرور الانسان أن يتحول إلى جهالة غير محدودة جعلته يتنكر لعمل الله فى حياته وينكر أفضاله العظيمة عليه ، ومن هنا زادت مسئولية الخدام والمربين فى أن يعيدوا إلى النفس الانسانية أمنها ، ويردوا لها طمأنينتها بما يقدمونه أولا من قدوة ومثال فى حياتهم وسلوكهم تشبهاً بسيدهم له المجد ، ثم بما يكتبون من دراسات تعين شباب النصف الثانى من القرن العشرين على

مواجهة تحديات الايمان ومعوقات الفضيلة ، خاصة بعد أن أصبحت كنيستنا الأرثوذكسية فى مصر كنيسة مسكونية تصل رسالتها إلى العالم أجمع .

وتنقسم الدراسة فى هذا الكتاب إلى قسمين :

القسم الاول :

عن الشباب والجنس من الناحية الطبية ، وقد كتبه خادم أمين قضى فترة طويلة فى خدمة إخوته من فتيان وشباب التربية الكنسية بكنيسة العذراء بروض الفرج ، وفى الآن نفسه هو عالم طبيب يحضر لدرجة الدكتوراه فى علم الامراض بجامعة موسكو ، فيكون بذلك قد جمع بين الخبرتين ، الخبرة الروحية والخبرة العلمية ، مما يعطى لدراسته قيمتها المطلوبة .

القسم الثانى :

يشمل دراسة موضوع الشباب والجنس من النواحى النفسية والروحية والتربوية ، وقد نهجت فى علاجه نهجاً جديداً ، على الاقل فى أوساطنا الدينية ، إذ جعلت أساسه «مذكرات ويوميات الشباب» وكنت قد عهدت إلى فريق من طلابى بالمعاهد العليا أن يكتبوها فى صراحة ، دون الاشارة إلى إسمائهم ، حتى تأتى معبرة عن الواقع أجلى

http://coptic-treasures.com

تعبير . ثم تناولت هذه المذكرات بالتحليل النفسى والروحى لأصل فى النهاية إلى التطبيق التربوى المطلوب .

وفى رأيى أنه قد آن الوقت لإعادة النظر فى مناهج تربية الشباب بأسر التربية الكنسية فلا تكفى إطلاقاً تلك الدروس التقليدية ، وإنما يجب أن نعدهم للحياة بالحياة عن طريق المعسكرات والنوادى فى ظل إشراف روحى تربوى متكامل حتى نطمئن أن الكلمة أصبحت لها جذور عميقة فى نفوسهم وقلوبهم .

أما آباء الاعتراف فليت الشباب يجد نعمة فى عيونهم فيرفقون بهم فى غير تهاون ، ويحزمون معهم فى غير شدة ، وإنما فى أبوة حانية وصداقة منفتحة يلاقونها ويسمعونهم ويوجهونهم ويصلون من أجلهم .

إن على الكنيسة وأسر التربية الكنسية واجبات متزايدة نحو الشباب لكى ينموا فى النعمة على أساس وطيد من المعرفة والإيمان والخبرة . . .

فليبارك الرب هذه الدراسة وليجعل منها شبعاً ونفعاً ؟

سليمان نسيم

http://coptic-treasures.com

الموضوع الأول

الشباب والجنس

من الناحية الطبية

للدكتور سمير نمر

مقدمة

قبل أن ندخل فى جوانب هذا الموضوع الهام ينبغى أن نؤكد ونذكر حقيقة علمية هامة ، وفى نفس الوقت هى حقيقة إيمانية روحية . ذلك أن الله تعالت حكمته أبدع بنيان وتكوين جسد الإنسان، ولذلك يحدثنا سفر التكوين فى الأصحاح الأول أن الله بعد ما جبل آدم وجعله نفساً حية رأى أن ما فعله فإذا هو حسن جداً . فحينما ننظر إلى أى عضو من أعضاء الإنسان نراه قد كون أبدع تكوين ليقوم بالعمل المطلوب منه أفضل قيام . فالعين مثلا ،هذا العضو الصغير، أحتار فيه العلماء ... كيف تستقبل الأشعة الضوئية وتترجمها صوراً من ناحية الشكل والحجم والمكان ، الأمر الذى يفوق قدره أضخم الأجهزة العلمية الحديثة وأعقدها .. كذلك إذا تكلمنا عن الثدى فهو غدة دقيقة التكوين صممت بحكمة إلهية بالغة لتمكن الطفل من عملية الرضاعة ، وتمر هذه الغدة بأطوار مختلفة تحت إطار منظم من الهرمونات يجعلها تفرز إفرازها بمجرد ولادة الطفل ، ومن المدهش أن هذا الإفراز ـ اللبن ـ يختلف فى تكوينه الكيميائى فى الأيام الأولى للرضاعة عن

http://coptic-treasures.com

بقية مدة الرضاعة وذلك ليتمشى مع نمو الطفل وتكوينه ... وهكذا بقية أعضاء الجسم ومنها أعضاء الجهاز التناسلى التى سوف يأتى ذكرها ، أبدع الله تكوينها . ومن هذا يتضح أن الله تعالت حكمته لم يخلق عضواً فى الإنسان عبثاً أو بدون داع أو لمجرد المنظر والجمال ، أو قبيحاً يخجل منه ، ولكن جميع الأعضاء خلقت وصممت لتؤدى عملاً محدداً مطلوباً لحياة الإنسان وبقاء الجنس البشرى .

والكتاب المقدس يصحح الأخطاء الشائعة فى التربية الجنسية عندما يعطى لأعضاء الجهاز التناسلى جمالاً وكرامة إذ يقول معلمنا بولس : « وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل . والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل » ١ كو ١٢ : ٢٣ . ولذلك يجب أن تكون نظرة الإنسان المسيحى لجميع أعضائه أنها جميلة ومكرمة ولكل منها عمله الذى يجب أن يسير فى الطريق السليم الذى رسمه الله له .

وفى هذه النبذة نقدم لك أيها الأخ الحبيب دراسة علمية طبية حول النواحى المتعلقة بالجنس ، راجين من الله أن يجعل منها فائدة وبركة .

الناحية التشريحية :

يتكون الجهاز التناسلى للذكر من الأعضاء الآتية :

١ — **الخصيتان** : الخصية هى غدة بيضاوية الشكل فى حجم اللوزة

الكبيرة . وتتكون كل خصية من مجموعة أنابيب دقيقة تسمى بالأنابيب المنوية لأنها تفرز الخلايا الأولية التى عند إكتمال نضجها تتحول إلى حيوانات منوية . وتوجد هذه الأنابيب المنوية فى مجموعات يفصل كل مجموعة عن الأخرى حواجز رقيقة ، وهكذا تظهر كل خصية كأنها مكونة من مجموعة فصوص شبه مستقلة . وبهذا نرى أن الله تعالت حكمته أراد بهذا أن ينحصر أى التهاب فى الخصية بواسطة الحواجز فلا يمتد إلى باقى الخصية ، وبذلك تتاح للانسان قدرة الإنسال رغم حدوث التهابات . وهذه الحكمة موجودة أيضاً فى تكوين ثدى الأنثى فهو عبارة عن فصوص مستقلة ، وهذا يساعد على بقاء بعضها سليماً يفرز اللبن للرضيع ، وذلك فى حالة إصابة بعض الفصوص بالتهاب أو خراج كما يحدث فى كثير من المرضعات .

نعود إلى الخصية : قلنا إنها مكونة من مجموعة فصوص متراصة وكل فص عبارة عن مجموعة أنابيب ؛ تتحد هذه الأنابيب فى قنوات أكبر إتساعاً ثم تتجمع فى عضو على شكل حرف الواو يوجد أعلى الخصية ويسمى بالبربخ ، وهناك تحفظ الحيونات المنوية لحين قذفها أو إمتصاصها مرة ثانية . تتحد القنوات الموجودة فى البربخ إلى قناة واحدة تسمى بالقناة المنوية ، سميت كذلك لأن السائل المنوى يجرى داخلها .

http://coptic-treasures.com

تنتهى هـذه القناة بأن تصب فى قناة مجرى البول فى جزئه الخلفى . بجانب الحيونات المنوية تقـوم الخصية بأفراز الهرمونات المذكرة المعروفة بالأندروجين .

٢ — **الحويصلتان المنويتان** : الحويصلة المنوية عبارة عن قناة متعرجة كثيراً على نفسها ، وتوجد واحدة على كل ناحية خلف البروستاتا وتقوم هذه الحويصلة بأفراز سائل غنى جداً بالمواد الغذائية مثل الفركتوز وفيتامين ج وغيرها ، وهذه تساعد على حيوية وتغذية الحيوانات المنوية وتفتح الحويصلتان المنويتان مع القناتين المنويتين فى الجزء الخلفى من قناة مجرى البول .

٣ — **البروستاتا** : هى عبارة عن غدة تحيط بقناة مجرى البول أسفل المثانة ، وتتكون من عدة فصوص يحتوى كل فص منها على عدة أنابيب تقوم بافراز سائل يساعد على حيوية الحيوانات المنوية وقدرتها على الإخصاب ، وهذا السائل يتجمع فى قنوات تصب فى الجزء الخلفى من قناة مجرى البول مع قنوات الحويصلتين المنويتين .

السائل المنوى

يتكون السائل المنوى من إفرازات الخصية والحويصلتين

المنويتين والبروستاتا وهو عبارة عن الحيوانات المنوية والسائل الذى تسبح فيه . وتقدّر كمية السائل المنوى التى يقذفها الإنسان عند المعاشرة بحوالى ٢ — ٤ سنتيمترات مكعبة وتتوقف الكمية على تكرار العملية الجنسية ، فتكون أقل حجماً عند الإفراط وأكثر حجماً عند الإمتناع عن العملية الجنسية أو الاعتدال فيها . وتتكون الحيوانات المنوية من رأس وعنق وذيل طويل ، ويصل عدد الحيوانات المنوية إلى حوالى ٦٠ مليون حيوان فى كل سنتيمتر مكعب واحد ، وبالرغم من أن الحمل يتم بدخول حيوان منوى واحد فى بويضة واحدة إلا أنه لا بد من وجود هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية حتى تكون فرص الإخصاب طبيعية ، ولا بد أيضاً أن تكون هذه الحيوانات طبيعية وقادرة على الحركة . وهنا نذكر أن الإفراط فى المعاشرة الزوجية قد يفقد الحيوانات المنوية قدرتها على الإخصاب حيث أنه لا بد من وجود وقت كافٍ لنمو هذه الحيوانات داخل الجهاز التناسلى للذكر يقدر بحوالى ٤ إلى ٧ أيام .

مصير السائل المنوى عند غير المتزوجين

لعل هذا من أهم المواضيع التى تشغل تفكير الشباب . هل من الضرورى أن يتخلص الجسم من هذا السائل كما يتخلص من البول

http://coptic-treasures.com

مثلا ؟ وهل الاحتفاظ به داخل الجسم يسبب ضرراً ؟ هنا لا بد أن نعرف أولا ما يتكلفه الجسم فى تحضير الحيوان المنوى والسائل المنوى . لقد أثبتت الأبحاث الطبية أن تحضير السائل المنوى والحيوانات المنوية يتطلب من الجسم مجهوداً كبيراً ، فكل سنتيمتر مكعب واحد من السائل المنوى يحتاج إلى عناصر حيوية تكفى لتكوين حوالى خمسة عشر سنتيمتراً من الدم . ومن الثابت أيضاً أن قنوات البربخ فى الخصية والحويصلتين المنويتين بها خلايا قادرة على الامتصاص ، والسائل المنوى يتكون عادة ببطء فى الأحوال العادية بقدر ما يستطيع إمتصاصه بالجسم ثانية والاستفادة بمواده الكيمائية فى عمليات الجسم الحيوية كتنظيم الدورة الدموية وضغط الدم ومرونة الشرايين وغذاء الأعصاب المخية والشوكية وغيرها . ومن ذلك يتضح أنه إذا سارت الأمور سيرها الطبيعى فإن السائل المنوى المتكون يكون بالقدر الذى سوف يمتص ثانية تقريباً ، وبذلك يجنى الشاب صحة وحيوية .

وقد أثبتت الملاحظات الدقيقة عند الرهبان وغيرهم ممن مارسوا الطهارة بكل معانيها أنهم لم يلاحظوا زيادة فى السائل المنوى بالقدر الذى يقذف إلى الخارج . ومن الملاحظ أيضاً أنه بالرغم من أن الرهبان فى الأديرة يواجهون نقصاً فى التغذية إلا أنهم يتمتعون بأجسام وعقول

صحية جيدة ويعمرون أكثر من غيرهم ، ولعل هذا هو سبب ذكاء يوسف الصديق وصحة أبدان دانيال والفتية الثلاثة وغيرهم ممن عرفوا الله وعاشوا حياة طاهرة . وهكذا نرى أن الله جعل الصحة الجسدية نصيباً لكل من يسلك حسب إرادة الله الصالحة ، وهى قداستنا وطهارتنا .

ومن الناحية الأخرى نلاحظ أن الإفراط فى الشذوذ الجنسى بجميع صوره سواء كان بالفكر أو بذات الفعل ، يورث الضعف والهزال وضعف الذاكرة وعدم القدرة على التركيز ، وأخطر من هذا فإن الإرهاق الناتج عن التورط فى هذه الناحية قد يؤدى إلى إصابة الرئتين بمرض الدرن (السل) . هذا بالإضافة إلى الأمراض النفسية والمخاوف والاضطرابات التى تلاحق المستعبدين لهذا الشذوذ ، والتى قد تصل إلى حد الجنون .

وهناك قانون عام للجسم أنه إذا أجهد أى عضو ، بما فى ذلك غدد التناسل ، ضعفت قدرته وقصرت مدة عمله .

كذلك لا ننسى العقاب الذاتى الذى تحمله خطية الزنا من الأمراض السرية مثل الزهرى والسيلان وغيرها ، التى تتناقل بواسطة المعاشرة الجنسية غير المشروعة التى يصاب بها كثير من الشباب الذين بعدوا

http://coptic-treasures.com

عن الفضيلة . وهنا نذكر قول الرسول بولس : « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو » ١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧ .

الجهاز العصبى والجنس

يتكون الجهاز العصبى من أعصاب إرادية وغير إرادية ومن مراكز لهذه الأعصاب . وعمل الأعصاب هو الإحساس وتحريك العضلات وتنظيم العمليات الحيوية . توجد بقنوات الخصية والقناة المنوية والحويصلة المنوية وغدة البروستاتا ألياف عضلية لا إرادية تتحكم فيها أعصاب ذاتية (غير إرادية) ويشترك كل من الجهاز العصبى الإرادى والجهاز العصبى غير الإرادى فى السيطرة وفى تنظيم العملية الجنسية . ولإيضاح ذلك نذكر مثلا يوضح إشتراك مراكز الإدراك فى السيطرة على الأفعال الغير إرادية وذلك فى عملية التبول . فهذه العملية تتم عند الأطفال بفعل منعكس ، فعندما يتم إمتلاء المثانة يحدث التبول دون تحكم الإرادة ، وحينما يكبر الأنسان يستطيع الطفل التحكم فى عملية التبول بطريقة إرادية . وبالنسبة للعملية الجنسية نجد أن إثارة مراكز الإدراك العليا بالحواس مثل النظر واللمس والسمع وغيرها ينتج عنه إنفعال الغريزة وإثارة الشهوة وإتمام العملية الجنسية . ومن

http://coptic-treasures.com

هنا تتضح أهمية حفظ الحواس طاهرة ، وخاصة العين ، ولذلك يحثنا الكتاب المقدس أن نحفظ العين طاهرة . كذلك التفكير فى هذه الناحية والإنشغال بأفكار الجنس يولد الرغبة بالحاجة إلى إتمام العملية الجنسية . ولهذا يحثنا الكتاب المقدس أيضاً أن نحفظ أفكارنا طاهرة .

ويؤثر على الجهاز العصبى أيضاً التعود ، الأمر الذى يجعل الرغبة تلح تلقائياً طالما وقعت تحت سلطان العادة، ويحتاج التخلص من العادات صبراً وجهاداً شاقاً حتى ترجع النفس إلى حالتها الطبيعية .

كذلك تناول الطعام الكثير والاسترخاء فإنه يثير الرغبة الجنسية حيث أن الأعصاب المسئولة عن تناول الطعام وهضمه والراحة والنوم هى نفس الأعصاب المسئولة عن إتمام العملية الجنسية. وبذلك تقوم هذه الأعصاب بوظيفة من نوع واحد وهى حفظ الكيان البشرى وإيجاد كيان بشرى جديد .

مما سبق يمكن تفسير ظاهرة الاحتلام التى تحدث بعد تناول أطعمة دسمة واسترخاء الجسم ، أو بعد شحن العقل بأفكار مثيرة أثناء النهار. لذلك فإن نقاء الفكر والصلاة قبل النوم والاعتدال فى كمية الطعام

تساعد على التخلص من الاحتلام أثناء النوم الذى يضايق كثيرين من الشباب .

ومن أهم العوامل التى تؤثر على الجهاز العصبى هو إفرازات الغدد الصماء ـ الهرمونات .

الهرمونات والجنس

الهرمونات هى مواد كيميائية تفرزها الغدد الصماء ويمتصها الدم ، وهذه الهرمونات تؤثر فى العمليات الحيوية وبناء الجسم بدرجة كبيرة . ويهمنا هنا أن نذكر الغدد والهرمونات المتصلة بعملية الجنس والتناسل .

◇ **الغدة النخامية** : يقوم النصف الأمامى من الغدة النخامية بإفراز هرمون ينبه غدد الخصيتين على العمل ، فهو هرمون يساعد على بناء الخصية وينشط إفرازاتها وتخضع الغدة النخامية تحت سيطرة مراكز الأعصاب العليا .

◇ **الخصية** : بالإضافة إلى تكوين الحيوانات المنوية ، تقوم الخصية ـ كما ذكرنا ـ بإفراز هرمونات التذكير ـ اندروجين . ولهذا الهرمون يرجع نشوء المميزات والفوارق التى تميز الذكر من الأنثى ، مثل شعر

الذقن والشارب واختلاف نبرات الصوت ونمو العضلات فى الرجل أكثر من الأنثى . كذلك توزيع الشحم فى جسم الذكر بطريقة تختلف عن توزيعه فى جسم الأنثى ، كما أن لهذا الهرمون تأثيراً ملحوظاً فى نشاط الجسم بوجه عام ونشاط العقل بوجه خاص ، كما أن له دخلا كبيراً فى شعور الإنسان بالميل نحو الجنس الآخر . وبين افرازات الغدة النخامية وهرمونات الخصية توجد هناك رابطة قوية ، فإذا نقصت نسبة هرمون الخصية (اندروجن) فى الدم زاد افراز الغدة النخامية لينبه الخصية وينشطها ، والعكس يحدث فإنه إذا زادت نسبة هرمون الخصية قلت نسبة هرمون الغدة النخامية .

• **الغدة الفوق كلوية** : هذه الغدة تشترك مع الخصية فى إفراز هرمون التذكير (اندروجن) ولهذه الهرمونات عموما معايير دقيقة جداً تقاس بالميكروجرامات فى دم الإنسان ، وإذا اختلفت نسبتها نشأ عنها أمراض مختلفة مما يوضح لنا كيف أن الجهاز التناسلى يسير بنظام دقيق جداً .

مراحل النمو الجنسى الطبيعى

حينما نتكلم فى هذا الجانب نذكر آراء علماء التربية بالإضافة إلى الآراء الطبية .

http://coptic-treasures.com

أولا : مرحلة الطفولة . فى هذه المرحلة تكون الغدد التناسلية غير كاملة النمو ولم تبدأ عملها بعد . كذلك الجهاز التناسلى عموماً يكون غير تام التكوين . ويسمى علماء التربية هذه المرحلة بالمرحلة النرجسية التى يكون فيها الطفل محباً لذاته معجباً بنفسه . ويلاحظ فى الطفل أن طاقته كلها تكون مركزة حول حب ذاته وحب أعضائه ، ثم يمر الطفل بعد ذلك إلى مرحلة قبل المراهقة التى يكون فيها محباً لجنسه ، كارهاً الجنس الآخر[1] وكأن الطبيعة تعمل فى هذه المرحلة كدفعة وقائية للتيار الجارف فى المرحلة التالية .

◇ **مرحلة المراهقة :** وهذه تبدأ فى حوالى سن ١٢ - ١٤ التى فيها تبدأ التغييرات العضوية والنفسية التى تعد الصبى ليكون رجلا والفتاة لتكون إمرأة . فى هذه المرحلة يتحول حب الذات إلى حب الآخر . وفى بداية المرحلة يكون المراهق الشاب محباً لكل فتاة ثم يتبلور الميل إلى حب شخص واحد .

◇ **مرحلة الرجولة :** التى فيها يكتمل النمو الجسمى والعاطفى ، فمن الناحية الجسمية يكتمل نمو الأعضاء التناسلية ، ومن الناحية العاطفية

(١) الاستاذ كمال حبيب — حياة العفة .

يتخلص الفرد من حب الذات - النرجسية - ومن القلق من الجنس الآخر ويستطيع أن يتحكم فى عواطفه ويوجهها نحو شخص واحد يختاره فى النهاية ليكون شريكاً لحياته .

مظاهر الشذوذ فى النمو الجنسى

هناك مظاهر تنشأ عن مرض عضوى ، فقد تبدأ المراهقة مبكراً جداً حوالى خمس سنوات أو متأخرة إلى ما بعد العشرين . وهناك مظاهر تنشأ عن انحراف تربوى ، فمثلا الشخص الذى يبلغ من العمر عشرين سنة أو أكثر ويشتق لذته كلها من الاهتمام بذاته أو أعضائه كما يحدث فى العادة السرية ، هذا الشاب لم يتخلص بعد من قيود النرجسية أى إعجابه بذاته ، مما يدل على اكتفاء ذاتى وانطواء نفسى .

مرض الكبت الجنسى

هى عملية لا شعورية فيها تتضارب الدوافع والميول ، فهناك دافع جنسى يميل نحو إشباع الناحية الجنسية ، ودافع أدبى يجعل الفرد يحجم عن إشباع هذا الميل . وإزاء هذا يحدث الصراع الذى يسمى بالكبت ومن مظاهره الاضطراب والهزل وعدم القدرة على التركيز والشعور بالسأم والضجر والانطواء والأفراط فى أحلام اليقظة .. وهناك فرق

http://coptic-treasures.com

كبير جداً بين الكبت وضبط النفس فالكبت عملية سلبية بحتة فيها لم يتخلص الفرد من حب ذاته ولا يستطيع مواجهة الواقع . أما الضبط فهو عملية إيجابية لا ينتج عنها صراع ، وهى مواجهة سليمة للواقع حيث يتعرف الشخص على حقيقة الأمور ويمارس ما هو مفيد باقتناع ورضى وقد يلاقى فى ذلك بعض المتاعب ولكنه يحتملها فى نظير الهدف الذى يسعى من أجله . وضبط النفس يتجلى فى حياة العفة والطهارة المنشودة حيث لا ينشأ عنه مرض عضوى أو نفسى . ولقد تكلم فى ذلك كثير من علماء الطب فى مؤتمرات نوقشت فيها هذه المواضيع ، وهناك اتفاق أن ممارسة عملية ضبط النفس وحياة الطهارة تحفظ الإنسان صحيحا سليم الجسم والعقل ، بل على النقيض من ذلك أشاروا على أن الأفراط فى ممارسة العملية الجنسية ينشأ عنه أمراض وخيمة . ومن هؤلاء الأساتذة نذكر د . هندريك أستاذ الفسيولوجيا بجامعة جلاسجو ، ود . كرافت أستاذ الأمراض العصبية بفينا وغيرهم .

الغريزة الجنسية والزواج

لقد خلق الله فى الإنسان مجموعة غرائز تساعده على الحفاظ على حياته وحفظ الكيان البشرى عامة ، ومن أهم هذه الغرائز الغريزة الجنسية فهى طاقة نافعة ، هدفها الأساسى تكوين وجود إنسانى جديد .

وهدف الغريزة الجنسية لا ينحصر فى التمتع الوقتى الذى يصحب ممارسة هذه العملية ، فهذه نظرة خاطئة وقاصرة لأن للغريزة الجنسية جوانب متعددة منها الاشباع العاطفى والاشباع الجسدى والاحساس بالإبوة والأمومة . وهذه الجوانب الثلاثة لا يمكن إشباعها سوى فى الزواج ، وهذا هو الفارق بين الزواج السليم والزنا الذى لا يغدو أن يكون مجرد التصاق بين الأجساد فقط .

الزواج السليم لا يكون مجرد رغبة فى إشباع شهوة الغريزة بطريقة شرعية ، فالشاب الذى يقبل على الزواج بهذه الكيفية كثيراً ما يصاب بخيبة أمل بعد مرور فترة وجيزة حينما يواجه متاعب الحياة والتضحيات الجسيمة التى لا بد أن يقوم بها كل زوج .

الزواج المسيحى هو شركة حب قوية ، الهدف منها تكوين بيت مسيحى وإيجاد نسل يمجد اسم الله القدوس .

الاستمناء أو العادة السرية

تعتبر هذه الظاهرة من أهم ظواهر الانحراف الجنسى التى يقاسى منها كثير من الشباب فى فترة المراهقة وبعدها . فإنها من الناحية النفسية تعتبر انطواء نفسياً ومواجهة منحرفة وقاصرة للغريزة الجنسية فهى انحراف عن الواقع مع الإغراق فى أحلام اليقظة .

ويهمنا هنا أن نذكر جوانب الخطورة فى هذه العملية : —

http://coptic-treasures.com

اولا من الناحية الصحية : لقد ذكرنا سابقاً أن عملية تكوين السائل المنوى يكلف الجسم طاقة هائلة ولذلك فإن الإفراط فى هذه العملية يعرض الجسم إلى الإرهاق الشديد ويجعله قابلا للأمراض المختلفة . ومن الملاحظات المعروفة تلك التى يشكو منها المستعبدون لهذه العادة من ضعف وهزال وعدم القدرة على التركيز . هذا بالإضافة لما أشرنا إليه أنه إذا أرهق أى عضو فى الجسم بما فيه الغدد التناسلية ضعفت قدرته وقصرت مدة عمله .

ثانيا ـ من الناحية النفسية : هذه العادة تجعل من يستعبد لها فى حالة صراع بين أحلام اليقظة والواقع الذى يعيش فيه . العقل ملوث بأفكار ومناظر جنسية ، والواقع الذى يعيش فيه لا يعطيه أكثر من تخيلات زائلة ، الأمر الذى يجعل الشاب فى صراع مع نفسه . هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا من أن الغريزة الجنسية لها ثلاثة جوانب من ناحية إشباعها . وهذه العادة لا تشبع شيئاً من هذه الجوانب الثلاثة وفى نفس الوقت يجد الشاب نفسه مستعبداً لها ، وهذا بدوره يولد صراعاً يعود إلى اليأس والحزن .

ولعلاج هذه المشكلة لا بد أن نعرف **اولا** أنها ليست وسيلة لإشباع الغريزة **ثانيا** أن هذه العادة ليست مستقلة بذاتها فهى حلقة ضمن سلسلة متصلة الحلقات ، تبدأ بنظرة أو فكرة ، تتحول

إلى رغبة ثم إلى حاجة لإشباع هذه الرغبة ، ثم العملية نفسها ، ثم يفيق الإنسان بعد فترة ، تطول أو تقصر ، فيجد أنه لم يشبع شيئاً . وتبدأ الحلقات مرة أخرى تتتابع ، ولذلك لا بد أن نراعى أنه إذا أردنا أن نتخلص من هذه العادة وجب أن ننظر إليها نظرة جذرية ، فمنذ البداية لا بد أن نحرص على نقاء الأفكار والنظرات .

ومن المعروف أن التخلص من أى عادة يستلزم مجهوداً قد يكون شاقاً . لذلك لا يجب أن نيأس أو أن نفقد الرجاء فإن ممارسة العلاج بالطب النفسى الذى تقدمه الكنيسة لنا فى سر الاعتراف قد أثبتت أنها من أنجح الوسائل فى التخلص من هذه العادة .

خاتمة : والآن بعد أن تعرضنا إلى دراسة الجوانب العلمية والطبية للناحية الجنسية نحب أن نؤكد أن المعرفة وحدها لا تكفى لكى نحيا حياة صحيحة النفس والجسد ، بل لا بد من عمل النعمة الإلهية التى وهبت لنا كمؤمنين فى المسيح الذى قال لنا بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً فنقول مع بولس الرسول «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» فيلبى ٤ : ١٣ .

http://coptic-treasures.com

وأخيراً هذه كلمة صغيرة أقولها لك أيها الأخ الحبيب إن كنت تحيا حياة النصرة والطهارة فاشكر الله على هذه النعمة المعطاة لك ولا تستهن أو تفرط فيها . أما إذا كنت تعانى من انحراف أو مرض من الناحية الجنسية فلا تيأس ولا تفقد الرجاء فى ذاك الذى قال تعالوا إلى . . . وأنا اريحكم .

http://coptic-treasures.com

الموضوع الثانى

الشباب والجنس

من النواحى النفسية والروحية والتربوية

للأستاذ سليمان نسيم

— ١ —

لماذا يعطى المجتمع إهتماماً خاصاً للجنس ؟

تتميز الغريزة الجنسية عن سائر الغرائز بأن لوظيفتها آثاراً متعددة تعود على الفرد وعلى المجتمع . ذلك أن الإنسان بهذه الغريزة يشارك الله نفسه فى عملية الخلق أى فى منح الحياة لكائن جديد . هذا الكائن الجديد له ولا شك حقوق قبل الجماعة . وإذن فالعلاقة التى تأتى بهذا الكائن يجب أن تنظم وتوضع لها الروابط[1] حتى لا تترتب عليها أية مضاعفات .

ومما زاد من تمسك المجتمع بضرورة وضع هذه القيود أن هذه الغريزة علاقة خاصة لا تتم مجاهرة أو علناً ، ومن هنا ارتبطت بالكثير من الانفعالات النفسية والخوف ، وبالكثير أيضاً من التضييق الذى دخل مع الوقت فى مجال الشرف والعرض والسمعة ، وانعكست آثار

(١) راجع ما جاء من تحريمات وقيود على العلاقة الجنسية فى التوراة [لاويين ٢٠ : ١٠ — ٢٠] .

http://coptic-treasures.com

هذه الإتجاهات على التربية فحددت الكثير من المحارم على علاقات الأولاد بالبنات ، منذ الطفولة . ولكى يبرر الكبار هذه المحارم أدخلوها فى قوالب الأدب وقلة الأدب ، والحلال والحرام ، والجنة والنار ، وربطوها بتحديد سلوك أبنائهم وبناتهم ووضعها فى قوالب « العيب » ، « والرذيلة » « والإنحراف » وهنا يقول أحد الشباب :

ولأنى نشأت فى أسرة ريفية ، ومن العائلة الحاكمة فى البلد ، ومحافظة جداً على تقاليد الدين ، فلقد كان من العيب جداً أن أكلم بنات البلدة أو أجالسهم[1] حتى لا أسيء إلى كيانها وكرامتها كفرد فيها ناشىء . وقبل حضورى إلى القاهرة للالتحاق بمعهدى العالى ألقيت علىّ محاضرات فى الأدب والأخلاق والمحافظة على دينى وتجنب الرذائل ومنها الأختلاط بالجنس الآخر لأن هذا دليل الفساد والفجور ... لذلك بدأت أنظر إلى كل فتاة وامرأة فى القاهرة بأنها موطن فساد وفسق ورذيلة ... نعم بدأت فى منتصف سن المراهقة تقريباً إذا جلست مع جماعة أو أسرة وفيها نساء كنت أخفى وجهى فى الأرض لأنى كنت أعتقد أننى إذا نظرت فى وجه امرأة فى هذا الوقت سوف تظن أننى أريد منها شراً . وكان إذا كلمنى أحد أقاربى فى موضوعات تختص

(١) الصحيح أجالسهن ، لكننى تعمدت أن أكتب النص كما جاء فى مذكرة الشاب .

بالزواج والاختلاط كان وجهى يحمر خجلا ولا أستطيع الكلام .. وقد أدى إختلاطى بالطلبة إلى معرفة الكثير مما لم أكن أعرفه وأنا فى الريف . فوقعت فى حيرة شديدة بين ما أسمعه من الزملاء من جانب ، وبين نصائح أهلى وأقاربى فى الريف من جانب آخر . كنت فى دوامة بين هذا وذاك . أحب قصص الجنس والمغامرات لأن فيها لذة جميلة كما يقول زملائى فى المدرسة ، وكنت أكرههم فى نفس الوقت لأنهم سبب الفساد والرذيلة بناء على كلام ونصائح أهلى الكبار . نعم ، لقد مرت علىّ سن المراهقة وأنا فى حيرة بين هذا وذاك . ولذلك بدأت أفكر وكان بداية هذا التفكير حوالى تقريباً سن السادسة عشرة . أفكر فى أن التحق بفريق المدرسة للمصارعة ، وأخترت هذه اللعبة بالذات لأن بها عنف وقوة وكنت مازلت أتمتع بصحة سليمة رغم هذه الظروف ... كنت أريد أن أنتقم من أهل المدينة من طلبة المدرسة بالذات لأنى فى قرارة نفسى كنت أكره قصصهم الماجنة وأحب أن أسمعها فى نفس الوقت » .. (إنتهى كلام الشاب) .

هكذا نرى أن المبالغة فى وضع التحريمات والقيود وبالذات بربطها بالدين ، وبالتخويف ، أدت إلى مجموعة من المفاهيم ذات التأثير النفسى الخارق فى توجية البنات والأولاد توجيهاً لا يمكنهم من مواجهة

http://coptic-treasures.com

الحياة والمجتمع مواجهة سليمة . ويتساءل أحد الشباب قائلا : هل من الصواب أن يحاسب الوالدين أولادهم على كل حركة وكل هفوة وكل خطأ ؟ وما الرأى فى الأسرة المتدينة المحافظة التى تربى أطفالها على أساس العيب ، والخوف من الأشياء التى إن لم نعرفها لما تفتحت أذهاننا على الحياة الصحيحة ؟ فكل خطوة نعملها نحاسب عليها . وإن أخطأنا نعاقب فى الحال ، أى يجب أن نتجه فى الحياة حسب الطريق المرسوم لنا من قبل أن نولد !! فهل هذه هى التربية السليمة أم ماذا ؟ .

ومما زاد من قوة هذا التأثير أن النمو الجنسى هو السمة المميزة للأنتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج . فالفتى يقال عنه أنه «بلغ» إذا تغيرت ملامح طفولته ، فاخشوشن صوته ، ونبت شعره ، واستقام طولا ، وما هذه المظاهر فى حقيقتها ، سوى إفرازات الغدد الجنسية لهرموناتها فى الدم ، كما رأينا فى القسم الأول من هذه الدراسة . وفى الوقت نفسه إنها العلامة المميزة لقدرة الفتى على أن ينجب أى أن تخرج منه بذرة الحياة . يقول أحد الشباب حين شعر بهذه التغيرات تطرأ عليه « وعرفت فيما بعد أننى أصبحت رجلاً ، وأن هذه هى أول علامات الرجولة » .

وما يقال عن الفتى يقال عن الفتاة : فبوصولها إلى سن معينة تتغير

معالمها فتأخذ شكلا جديداً يعدها لرسالة الأمومة المستقبلة ، أى استقبال بذرة الحياة لتجعل منها جنينا متميزاً يجمع خصائص الجنسين . وهذه هى فاتحة الشعور بالتجاذب الجنسى الذى يستهدف فى النهاية بقاء النوع . ولعل هذا هو سبب تميز الغريزة الجنسية عن بقية الغرائز : ارتباطها ببقاء النوع نفسه ، أى بغريزة استمرار الحياة وتواصلها . كما أن ارتباط الغريزة الجنسية بالتغيرات المميزة وهى تغيرات تعطى كل جنس الطابع الخاص به قد زادت من حساسية المجتمع ازاء الجنس ، ولا سيما فى مرحلة المراهقة ، فزادت رقابته وتضييقه مما أدى بالعلاقات الجنسية تحت ضغوط المجتمع ، إلى التسرب فى مجار تحتية بعيداً عن أعين الرقباء . على أن من المجتمعات من أعطى لشبابه الحرية فى ممارسة أمور الجنس بحجة أن الحرية وسيلة كل من الفتى والفتاة فى اختيار شريك حياته المستقبلة ، وأنه ما دام سيمارس الجنس فليكن هذا فى حرية بدلا من ممارسته فى الخفاء . وقد أدى هذا إلى الكثير من الاستباحة ، زادت فى أعقاب الحروب الأخيرة حتى وصلت إلى الانحلال والتفسخ والشذوذ ، وكان أن ضعف دور الأسرة والمدرسة حتى أن الكثيرين من المربين والمصلحين فى أنحاء كثيرة من العالم الأوربى والأمريكى دعوا إلى إعادة النظر فى نوع العلاقات بين الآباء والأبناء والبنات ،

http://coptic-treasures.com

المجالات المسئولة عن التوجيه الجنسى :

تأتى الأسرة فى مقدمة المجالات المسئولة عن توجيه الفرد ازاء الجنس لأنها المجال الاجتماعى الأول الذى يتلقى الفرد طفلا فصبياً ففتى فشاباً : يتلقاه كائناً هشا يكتسب خبراته ، وتتفتح استعداداته على ما فيها من مناظر وأوضاع ومواقف وعلاقات تطبع شخصيته بطابع مميز وتكسبه الاتجاهات والعادات والصفات المستمدة من ثقافتها وقيمها .

وتأتى بعد ذلك المجالات الإجتماعية المختلفة كالمدرسة ، وبيئة الحى ، وجماعات الأصدقاء ، والجيران ، وبيئة العمل والمهنة ، ثم اتجاهات المجتمع بوجه عام التى تعبر عنها وسائل الإعلام بشتى أنواعها ، والتى تزداد وتتعقد بتعقد الحضارة وتقدمها وما يرتبط بها من إضافات سريعة أصبح لها التأثير السريع الواضح فى تغيير حياة الفرد من يوم إلى آخر ؛ مما أدى إلى قصر المسافة الزمنية بين كل جيل والجيل

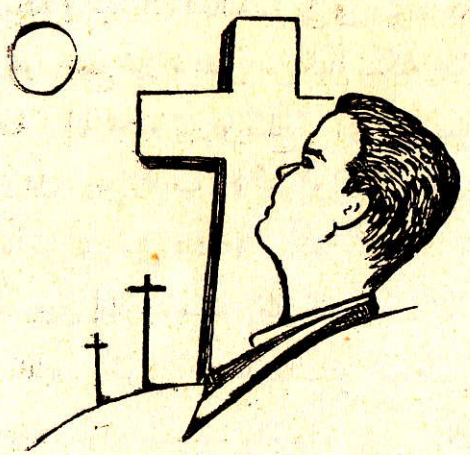

http://coptic-treasures.com

الذى يليه ، من ناحية ، وإلى طولها بين الجيل الحالى والأجيال السابقة له من ناحية أخرى ؛ فضعف تأثير هذه الأجيال على الشباب المعاصر الذى أصبح يعيش فى ظل قيمه الجديدة ثقافة جديدة تؤثر فيها الاتجاهات العالمية والإنسانية بحكم سهولة الاتصال بين مختلف الشعوب والبلاد ، بل ومختلف القارات أيضاً ، وما يقترن بهذا الاتصال من مؤثرات تؤثر فى تكوين شخصية الفرد واتجاهاته .

وهناك أيضا المجال الدينى :

فالكنيسة ، والتربية الكنسية ، ودرس الدين بالمدرسة ، وما قد يتصل بها من وسائل التنشيط . هذه كلها لها أيضاً تأثيرها وفاعليتها .

وفى مجال الأسرة ، والمجالات الاجتماعية الأخرى ، تنطلق إيحاءات وتوجيهات وكلمات وألفاظ وإيماءات ، منها المفيد ومنها الضار ، منها الحقيقى ومنها الزائف ؛ وكلها ، على أى حال ، تترك أثرها وانطباعها ؛ وبعض هذا الأثر والانطباع قد يكون وقتياً يزول بزوال الموقف ، وبعضه الآخر قد يكون له التأثير المستمر خاصة إذا تدخل عنصر التكرار والإلحاح ، كما فى الكثير من وسائل الإعلام .

هذه المؤثرات تكون أقوى فاعلية وأكثر ثباتاً كلما وصلت الفرد فى مرحلة طفولته حين يكون جهازه العصبى على درجة كبيرة من الحساسية والاستعداد للتأثر . فالطفولة سن التقبل ، ومرحلة التفتح واكتساب الخبرة أياً كانت . ولأن الطفل بطبيعته عاجز عن التقييم أو الانتقاء ، وخاصة فى هذه الموضوعات الدقيقة ، ولأن لديه ، من ناحية أخرى ، الاستعداد الطبيعى للتقليد ؛ فإنه يتلقى ما تطلقه هذه المجالات جميعاً من مختلف التأثيرات متأثراً بشخصيات الكبار المحيطين به ، لاسيما والديه ، منفعلا بسلوكهم ، وقد يكون هذا السلوك ثابتاً وقد يكون متقلباً ، مما يحدد معالم شخصيته الداخلية ، ويزرع فى عقله الباطن محركات وحوافز سلوكه فى المستقبل . ولئن قصدنا بالطفولة هنا الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل ، لكننا نضع فى الاعتبار أنها تشمل أيضاً مرحلة الطفولة المتأخرة ومرحلة المراهقة . وكلها مراحل يكون الطفل والمراهق فيها قابلا للتأثير واستقبال الخبرة وتثبيتها . ومن هنا فإن ما يقع فيه الكبار من أخطاء فى توجيه أطفالهم عموماً ، ومن الناحية الجنسية بوجه خاص ، يكون له تأثيره وآثاره . والعكس صحيح : فكلما تنبه الكبار إلى أهمية توجيه أطفالهم فى هذه المراحل المتتالية : الطفولة المبكرة والمتأخرة ثم المراهقة

http://coptic-treasures.com

الاحترام والحب المتبادلة بين الزوجين تترك آثاراً غير ما تتركه علاقات الشجار والنزاع المستمر . واتفاق إتجاهات التربية فى الأسرة يترك طابع الاستقرار والثقة فى نفوس الأبناء على عكس إختلاف هذه الاتجاهات وتباينها كأن يكون الأب بالغ القسوة والأم بالغة الحنان فتتمزق شخصيات الأطفال وتتوزع عواطفهم ، وقد ثبت أن لكل هذه الأوضاع والمواقف آثارها فى تكوين إتجاهات الأبناء إزاء الكبار ، وإزاء الجنس ، وإزاء العلاقات الاجتماعية والوالدية بوجه عام .

يقول أحد الشبان : « وكان منزلنا لا يخلو من الشجار ، فكنت أتساءل : « أين حنان الأبوين ؟ أين توجيهاتهم ؟ ألا يكفون عن الشجار المستديم فى المنزل ؟؟ لقد كرهته لما يحدث فيه باستمرار من متاعب » . ويتابع هذا الشاب البائس حديثه : « ولقد كان لى صديق فى ذلك الوقت كان والده يعمل قاضياً ، فكنت حين أذهب عنده فى المنزل أجد حياة سعيدة تختلف كل الاختلاف عن الحياة التى أعيشها . لقد كانت والدته تفيض علينا من حنانها الكثير مما جذبنى إليه لدرجة أننى كنت لا أترك هذا المنزل سوى فترات بسيطة » .

... وواضح من هذه الحالة أثر العلاقات العائلية فى هرب الإبن من منزله لسوء العلاقات بين والديه ، والتجاؤه إلى منزل صديقه حيث يجد « الحياة السعيدة » . ولنا هنا أن نتساءل : إذا لم يكن لهذا الشاب صديق كهذا فأين كان يذهب ؟؟ أليس من المحتمل ، بل ومن السهل ، أن تبتلعه مجالات الانحراف والرذيلة ؟ أما كان من الممكن أن يذهب إلى صديق له يعب معه الرذيلة لينسى ما هو فيه من بؤس وشقاء ؟؟

يؤكد هذا ما يذكره هذا الشاب بعد ذلك : « فى ذلك الوقت كان والدى لا يعلم أى شىء عنى : لا يسأل أين ذهبت أو مع من ذهبت ، ومع من أذاكر ، وكذلك والدتى : لقد كنت دائماً أكذب عليها وأقول لها إن صديقى الذى أذاكر معه يشرح لنا والده كل الدروس ... وظهر هذا الكذب كله فى رسوبى آخر العام رسوباً فاحشاً فى كل المواد !! » ...

ومن الطبيعى أن تزداد مضاعفات النزاع العائلى سوءاً بهجر أحد الوالدين للمنزل وخاصة الأم .

وهذه حالة شاب اضطرت أمه ، تحت تأثير قسوة الأب وسوء معاملته ، إلى ترك المنزل ، وكان أن بث هذا الأب فى نفوس أولاده

http://coptic-treasures.com

إتجاهاً عدائياً إزاء المرأة ، وكبر الأولاد وتزوجوا وعانوا فى علاقاتهم الزوجية من نتائج هذه الفكرة ، إذ كان الاعتقاد المسيطر عليهم هو ضرورة إخضاع المرأة وقهرها ، بل وإذلالها بحيث لا تصبح لها كلمة أو رأى أو شخصية ، وهو وضع سيء وضار للغاية إذ أن مثل هذه الزوجة المقهورة والمغلوبة على أمرها لا يمكن أن تنشىء أو تعد أبناءاً أحراراً[1] ، وقد صدقت زوجة فُرض عليها هذا الوضع حين أبدت مخاوفها الشديدة من أنها لو أنجبت بنتاً فقد تعانى مثلها ، ولو أنجبت ولداً فقد يكون على شاكلة أبيه ! !

ويتضح من هذا المثال كيف تترك العلاقات العائلية آثارها وانطباعاتها فى تكوين الاتجاهات إزاء الجنس عموماً ، وإزاء العلاقات الزوجية بوجه خاص .

وإذا كانت طبيعة العلاقات بين الزوجين تترك هذه الانطباعات وتؤدى إلى هذه النتائج ، فما لا يقل عنها تأثيراً إنحراف أحد الوالدين ، وسيره فى طريق الرذيلة ، مما يترتب عليه — فى الغالب —

(١) نحب أن نلفت النظر هنا إلى الفارق الكبير بين مثل هذه الزوجة التى تعانى من اضطراب شخصية زوجها اضطرابا نفسيا مرضيا ، وبين الزوجة العاقلة الحكيمة التى توفر زوجها وتحترمه فى حب فيبادلها هذا الحب والاحترام ، والحب والاحترام أساس كبير لبناء الحياة العائلية السعيدة .

إقتداء أبنائه به ، وشعورهم بسهولة ممارسة الرذيلة بسبب ما يحيط بهم فى المنزل من مؤثراتها وصورها المتكررة ، ولعل من أهم أسباب هذا الانحراف إهمال معرفة الوصية[1] والبعد عن محبة الله وطاعته .

+ إهمال الترشيد :

لعل من أهم الصفات التى تتميز بها الأسرة الناجحة أن تتوفر الصداقة بين الوالدين والأبناء بحيث يقوم الوالدون بترشيد بناتهم وأولادهم وتبصيرهم بنواحى نموهم وخصائص هذا النمو ، مرحلة بعد مرحلة . أما الأسرة المهملة أو الجاهلة فإن أولادها يعانون إما من عدم الترشيد أو من سوئه ، ولكليهما أسوأ العواقب إذ يُترك البنات والأولاد للضياع بلا توجيه ، وقد يستجيبون لأول نداء ، على مستوى الانفعال والاستجابة الحسية مما يكون له أخطر الأثر على حياتهم ومصيرهم .

يقول أحد الشبان : « ولاحظ والدى علىّ هذه الظاهرة (ظاهرة سرعة الضيق والنرفزة) فسألنى ، وحين ألح قلت له : « إنى أشعر بتضارب فى أفكارى ، أحياناً أكون سعيداً ، وأخرى أكون

(١) يقول القديس يوحنا ذهبى الفم : إن معظم خطايانا ترجع إلى جهلنا بالكتب المقدسة .

http://coptic-treasures.com

عابساً دون أن أستقر على حال . إننى ألاحظ أن مظاهر جديدة مختلفة تظهر على صوتى وعلى جسمى تسبب لى الكثير من الحيرة » .. وكان تعقيبه الوحيد أن نظر نحوى ، وابتسم ثم تركنى وذهب ، مما جعلنى أكاد أجن غيظاً » !!

... وهذه حالة شاب آخر لا ذنب له إلا أن خصائص المراهقة قد ظهرت عليه فكان جزاؤه كما يلى : يقول هذا الشاب : « سألت نفسى يوماً ، وكنت فى نهاية المرحلة الابتدائية ، ما الذى حدث لزملائى ؛ إننا جميعاً كنا متساوين فى الطول تقريباً . أما هذا العام فقد اختلفت أحوالنا حتى أننا قد أطلقنا على أحد الزملاء لقب « أبو طويلة » فى الوقت الذى أطلقنا لقب « القزعة » على طالب آخر !! ولن أنسى سؤالا آخر تساءلت به عن السبب الذى جعل الله يخرج الشعر فى ذقن والدى ، وبالرغم من أنى إبنه إلا أن الله لم يعطنى شعراً فى ذقنى مثله ، وقد تسبب هذا السؤال فى عقابى لأنى أخفيت ماكينة الحلاقة ، وأخذت أعبث فى ذقنى محاولا إيهام نفسى بأنى مثل أبى لى ذقن !! فلما دخلت والدتى فجأة أثناء هذا العبث أخذت تضربنى ، ونزعت ماكينة الحلاقة من يدى ، ولم يكن هذا الضرب هو السبب المباشر فى بكائى ، إنما كان السبب تلك الكلمات التى

خرجت من والدتى أثناء ضربى ... طيب أبوك له ذقن وعشان كده بيحلقها ، وأنت فاكر نفسك راجل لك دقن زيه ؟؟ !! خذ ... وهات يا ضرب !! وياليت الأمر وقف عند هذا الحد ، ولكن الذى حدث أنه لم يدخل عندنا زائر بعد ذلك إلا وقصوا عليه هذه القصة . لقد أصبحت عندهم شيئاً يستحق الذكر ، ويجلب الضحك ، حتى أصبحت أخشى مقابلة أحد ، وأتجنب الدخول للسلام على أى زائر ... على أن هذه الحادثة كانت لها نتائج أخرى فقد تجنبت من يومها توجيه أى سؤال يدور فى ذهنى لأحد من أقاربى » ...

هذا نموذج لسوء الترشيد وإشعار أولادنا كما لو كانت التغيرات الطبيعية، التى لا ذنب لهم فى إحداثها أو حدوثها ، جريمة ارتكبوها . والسؤال الذى أود أن يسأله كل أب لنفسه ، وتسأله كل أم لنفسها : من أين لأولادنا ولبناتنا بالخبرة التى بها يمكنهم أن يواجهوا مظاهر نموهم الجنسى ؟

وإذا لم يسألوا والديهم فمن إذن يسألون ؟ وإذا كان هذا هو موقف الوالدين فماذا تكون الآثار النفسية التى تترسب فى عقول أولادهم وما نتائجها بالنسبة للنمو الجنسى الذى تحتم طبيعتهم أن يمروا به ؟

http://coptic-treasures.com

إخوة السوء : قريبي ويسكن قريباً منا . أخذ يسرد لى عن العلاقات الجنسية ... ويخبرنى بأنه يحب فلانة ... ويذهب إلى منزل علانة ... وأن فلانة كانت تناديه ... بل إنه أخذ يحضنى على أعمال الفسق والشر ، وقد ظل يغرينى على عمل ما يوجهنى إليه حتى سقطت ... لعنة الله عليه » ...

ولو أن هذا الشاب وجد من أسرته تشجيعاً على الإدلاء بما يسمع من أصدقائه ، والسؤال عنه ، لعرف طريق الفضيلة بدلا من السقوط . ولو أن أسرته دعت الأب الكاهن القديس لزيارتها وأكدت على أولادها بضرورة مقابلته بالكنيسة قبل التقدم للتناول المقدس لكان الحال — فى الغالب — غير الحال ، والنتيجة غير النتيجة ...

+ الصداقات المفسدة وسوء توجيه وقت الفراغ :

هل يمكن أن يكتفى الفتى أو الشاب بصداقة الأسرة ؟ الإجابة بالنفى ... إن الإنسان كائن إجتماعى ، وهو يميل إلى الصداقة منذ بواكير طفولته ... ويبدأ ظهور هذا الميل فى سن السادسة ... ويظل ينمو معه ... وصداقة مرحلة المراهقة صداقة دائمة عادة لأنها صداقة المرحلة التى تتأجج فيها العاطفة ، وينمو الميل الإجتماعى .. لكن ليست كل علاقة من هذا النوع جديرة بكلمة صداقة .

يقول الوحى الإلهى : « المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » [١ كورنثوس ١٥ : ٣٣] وكثيراً ما كانت الصداقات المنحرفة سبب وبال على أصحابها .

يقول أحد الشبان « حين قاربت على الإنتهاء من مرحلتى الثانوية ، ذهبت فى يوم من الأيام للاستذكار مع أحد زملائى ؛ فوجدت عنده ، بطريق الصدفة ، إثنين من الزملاء يدخنون السجاير . كنت فى ذلك الوقت لا أعرف شيئاً عن التدخين وكنت أعتبر الطالب الذى يدخن السجاير شخصاً يحاول أن يفرض رجولته بهذه العادة على المجتمع من حوله . ثم أنتابنى تفكير فى هذه اللحظة عن التدخين ، وتشجعت وأخذت من زميلى سيجارة ، وعلمنى أحدهم كيفية تدخينها . لقد كان الموضوع فى بداية الأمر محاولة معرفة شىء مجهول لكنه أخذ بعد ذلك يزداد شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى اليوم الذى أصبحت فيه لا أترك فرصة واحدة لا أدخن فيها ، وغدت السجاير الآن من ضمن غذائى الأساسى فلا أستطيع تركها » ...

وإذا كان هذا الشاب قد تعلم التدخين من أصدقاء السوء فإن غيره يتعلم أشياء أخرى ، ويقضى معهم سهرات أخرى وجلسات أخرى عبر عنها أحد الشباب قائلا : « فى يوم من الأيام كنا نجلس ، أنا وبعض

http://coptic-treasures.com

أصدقائى ، وكل منا يحكى عن مغامراته ، بل إن أحدنا كان قد دبر الأمر بحيث نقضى ليلة حمراء معاً .... وبإندماجى مع هؤلاء الزملاء عشت معهم فى مشاكلهم فأيقنت حقيقة أنهم من التعساء ... » .

وما نقوله عن معاشرات الأصدقاء وأثرها نقوله عن أثر الخدم والجيران ، وإن فى إهمال الأسرة لمراقبة أطفالها ، والإلقاء بهم هنا وهناك ، أو تركهم لرعاية الدادات غير الأمينات ، لينذر بشر خطير .

ففى مذكرات عدد كبير من الشباب تتردد كلمة : « وكان عندنا خادمة كانت تأخذنى ، وأنا بعد طفل ، فى خفية عن أعين الأسرة وتعمل معى كيت وكيت ... » ..

بل لقد ذكر البعض أن أسرته كان بها خادم سأله عن كذا وكذا ثم علمه كذا وكذا من الأمور الجنسية التى تنقل إليه فى أقذر الصور وأقبح الأساليب ... وهذه بازدحامها أمام الطفل ، وهو بعد فى مرحلة الطفولة ، تشوه شعوره وتلوث صورة الله كما أودعها فى خليقته الطاهرة ، وتؤدى به إلى يقظة جنسية مبكرة تثقل كاهله الصغير ، ولأنه يعيش تجربته ومعاناته وحده فغالباً ما يستمر فى خبرته المؤلمة حتى ينهار ويفشل ، ومع ذلك فقد تنتبه أسرته وقد لا تنتبه !!

من هنا كان على الدولة والكنيسة أن يبذلا كل ما فى وسعهما لأنشاء دور الحضانة التى تطمئن الأمهات إلى وجود أطفالهن بها .... يقول أحد الشبان « إن الاختلاط (يقصد مع الجيران بصفة خاصة) أكثر من اللازم يذهب بأطفالنا إلى الهاوية » . فقد يكون الخادم موضع ثقة فنترك له أطفالنا أو طفلاتنا ، لكن هل نراقبه لنعرف ماذا يعمل ؟ وقد تكون لنا خلطة مع جيراننا فنترك لهم أطفالنا ، لكن هل ندرى ماذا يحدث ؟ إن مرحلة الطفولة ، وقد حددناها من قبل بأنها تصل إلى سن الثامنة عشرة . تحتاج إلى مراقبة ورعاية وتوجيه ، كما تحتاج إلى حكمة وصلاة وقدوة ، ويتطلب هذا من الوالدين أن ينظرا إلى أطفالهم على أنهم أمانة أعطاها الله لهم فيجب أن يصونوها لكن فى حزم مشبع بالرفق ، وفى حب مشبع بالجد[1] ، حتى يصلوا إلى السن الذى يتولون فيه زمام أنفسهم ... يقول الوحى الإلهى : « رب الولد فى طريقه فمتى شاخ لا يحيد منه » [أم ٢٢ : ٦] ويقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « وإنك منذ الطفولة تعرف

(١) إن التدليل المطلق كالقسوة الزائدة . كلاهما يعطى تربية خاطئة : د . مختار حمزة ـ مشكلات الآباء والأبناء ـ ص ١٠٢

http://coptic-treasures.com

الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » [١ تى ٣ : ١٥] .

ثم يشيد القديس بأثر جو القداسة والطهارة الذى أحيط به القديس تيموثيئوس فيقول له : « إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك ، الذى سكن أولا فى جدتك لوئيس وأمك افنيكى ولكننى موقن أنه فيك أيضاً » [٢ تى ١ : ٥] . هنا تظهر ثمار القدوة الطاهرة ، والرعاية الساهرة التى تسلم الإيمان لمن بعدها ... وبمثل هذه القدوة يشمئز أبناؤنا من الخطيئة ، وبصلاة الوالدين المستمرة عنهم يعطيهم الرب نعمة القوة والحكمة فينمون فى الفضيلة ويتجنبون الرذيلة ....

ولئن كنا قد تحدثنا عن آثار المعاشرات الردئية ، وأهمية ملاحظة أطفالنا فى علاقاتهم بالخدم والجيران والأقارب ؛ فإن هذا يقودنا إلى ملاحظة أهمية وقت الفراغ ، وما يصيب بناتنا وأولادنا خلاله من ملل قد يعرضهم إلى إرتكاب الكثير من الأخطاء : ربما بدون قصد ، لكنه الفراغ ! ! .

وهذه أيضاً مشكلة خطيرة ليس حلها أن نتهرب منها وإنما أن نواجهها ، كنيسةً ومجتمعاً وأسرةً ، لنتعاون على تحويل وقت الفراغ

إلى طاقة بناءة بدلاً من هدم صحتهم بوقوفهم فى الشارع ، وتعريض كرامتهم وأفكارهم إلى التلوث بالمعاشرات والخبرات الرديئة ..... ولعل فى جو الأسرة الهادىء المستقر ، وفى نوادى الصيف ، وإشباع الهوايات ، وتنظيم الرحلات والمعسكرات بعض الحلول لهذه المشكلة .

وفى خاتمة هذا الجزء لا بأس من أن نتساءل : ما الأسباب التى تؤدى إلى هذه الأخطاء ؟ فى ضوء ما وصلنا من مذكرات واقعية يمكننا أن نعدد مجموعة من العوامل المتباينة فيها :

- **العوامل الاجتماعية** : كالفقر ، وتفكك الأسرة ، وضيق المسكن وازدحامه[1] ، ومعاناة الحرمان ، وظروف وتقاليد البيئة ، والأمية .

- **العوامل التربوية** : كضعف تأثير المدرسة ، وسوء قدوة المدرسين ، وإهمال الوالدين للأخذ بوسائل التربية الصحيحة ، وعدم متابعتهم لأبنائهم فى غربتهم ، وعدم ملاحظتهم لعلاقاتهم ، وقلة الوسائل لشغل الفراغ .

---

(١) د. مختار حمزة — مشكلات الآباء والأبناء — الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة . سنة ١٩٥٩ — ص ١٠١

http://coptic-treasures.com

المدخل الفكرى :

يخضع سلوك الكائن الحى ، فى عمومه ، لمجموعة من الدوافع إختلفت مدارس علم النفس فى تحديد عددها [1] ولكنها أجمعت على أن لكل دافع ثلاثة عناصر متميزة هى التى تكون الحياة الشعورية العادية .

وهذه العناصر هى الإدراك ، والوجدان ، والنزوع .

واليك بعض أمثلة :

— لنفرض أن إحدى الأمهات سمعت خبراً مفرحاً عن إبنها . فهى تدرك أن فى هذا أكبر سعادة لأعز من تحب . فتنفعل إنفعال السرور ، وقد تنزع إلى كتابة برقية تهنئة له ، أو إلى أن تشرك الآخرين معها بشكل أو بآخر .

---

(١) حددها العالم النفسى المعروف « مكدوجل » بأربعة عشر دافع .

http://coptic-treasures.com

لأنواعها جعلوا التربية الجمالية نوعا منها يجب أن نضعه فى الإعتبار فى إعداد أطفالنا للحياة .

وإذا كنا نلحظ مظاهر الجمال فى الطبيعة والزهور والطيور وفى مختلف الحيوانات ، فان وراء هذا الجمال هدفاً واضحاً هو دفع هذه الكائنات إلى التجاذب لتحقيق قصد الله فى الخليقة وهو التكاثر أى بقاء النوع . فجمال الزهور يجذب إليه الحشرات التى تعتبر إحدى الوسائل لنقل حبوب اللقاح . وجمال الطيور وتنوع ألوان ريشها ، ووجود علامات جمال معينة فيها كالعرف عند الديك ، والصدر الملون فى الطاووس والديك الرومى ، والحمام وغيرها ... كل هذه عوامل تساعد على التجاذب الجنسى وتؤدى بالتالى إلى تكاثر هذه الكائنات وبقائها .

يقول الوحى الإلهى فى سفر التكوين « وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلا يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه أى بذره فيه . وكان كذلك ... ورأى الله ذلك أنه حسن » [تك ١ : ١١ ، ١٢] .

وعن الزواحف والطيور يقول الوحى الإلهى « فخلق الله التنانين العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طائر ذى جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن

http://coptic-treasures.com

وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملأى المياه فى البحار . وليكثر الطير على الأرض » [تك ١ : ٢١و٢٣] ... أى أن عملية التكاثر قرينة البركة أى مرتبطة بها . وما قيل عن النبات والزواحف والطيور قيل عن الحيوانات بمختلف أنواعها : يقول الكتاب المقدس « فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن » [تك ١ : ٢٥] هكذا أودع الرب فى خليقته سر بقائها : أى سر تكاثرها . وهذا التكاثر نفسه هو سر بركتها وعدم إنقراضها .

حتى إذا جاء للانسان جعله تاجاً للخليقة كلها لأنه « على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » [تك ١ : ٢٧ ، ٢٨]

وهكذا خلق الله الانسان ذكراً وأنثى ليتكاثر وينمو وليكون بديلا له فى التسلط على الخليقة وحفظها واكتشاف أسرارها وتطويرها . فقد ميزه بالعقل ، أى بالقدرة على الإدراك والتمييز . وأمد الله هذا العقل بمجموعة من القدرات ، أهمها الذكاء لتمكينه من مواجهة أى

موقف يستجد عليه ، وحل كل المشاكل التى تقف فى طريقه ، بالإضافة إلى القدرات الأخرى التى يوالى العلم اكتشافها والتى تعتبر أدوات الإنسان وأسلحته فى إخضاع بقية الكائنات والسيطرة عليها . لكن الانسان لم يعط العقل والإدراك والتمييز والذكاء والقدرات فقط ولكنه أعطى أولاً نفساً خالدة بالإضافة إلى تميزها بالعقل والإدراك ، تميزت أيضاً بأنها حرة ، مريدة ، خالدة ، أى غير قابلة للفناء .

كما أودع الله فى الانسان أسرار الكون كله ووهبه مجموعة من الحواس كأجهزة استقبال للمؤثرات الخارجية فما تكاد هذه المؤثرات تقع على الحواس حتى تنقلها أعصاب معينة إلى المخ الذى يحوى مركزاً لكل إحساس فيمكن للانسان أن يميز هذا المؤثر فيسميه ويقف منه الموقف الملائم .

ومن هنا لا نستغرب أن الله أحضر إلى آدم كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فدعاها بأسمائها وكل اسم أطلقه على كل منها صار اسمها : [تك ٢ : ١٩] أى أن آدم كان له من الحكمة والفهم والقدرة على التمييز ما مكنه من إطلاق الأسماء على مسمياتها . وانتقاء اسم ما أو شعار ما ، هو قمة القدرة على العمليات العقلية والعمليات

التفكيرية المجردة . ومن هنا يمكننا أن نقول إنه بقدر ما علت السماء عن الأرض ، علا مركز الإنسان عن مركز بقية الكائنات . فهو يستوعب عناصر الخليقة كلها فى داخله ، بل لقد أثبتت أبحاث علماء الحياة « البيولوجى » أن نمو الجنين الإنسانى يمر بأطوار بقية الكائنات ، فأسماه الفلاسفة « العالم الصغير Micro Cosmos » ، وكأن الله يريد أن يؤكد أن هذا الكائن ، الذى خلق على صورته ومثاله ، إنما يتضمن كل عناصر الخليقة ويستوعب أسرارها وغوامضها وأحوالها ، بل وخصائصها ومميزاتها لينفرد فى النهاية بميزة غير متوفرة لأى كائن آخر : إنه على صورته ومثاله ، أى بديل الله فى حكمها وقيادتها . من هنا فإننا نلحظ أن الوحى الالهى بعد أن تحدث عن اكتمال الخليقة بخلقة الانسان قال « ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جداً » [تك ١ : ٣١] فإذا كان الانسان على هذا القدر من الحكمة والتمييز فلا شك أنه سيقدر أن هناك فرقاً بين أن يعتبر الجمال ويتذوقه ويمجد الله به وفيه ، وبين أن يلوثه ويشوهه وينظر إليه نظرة الأنانية والتسلط . يتساوى فى هذا الجمال الطبيعى والجمال البشرى . فالطفل الذى يرى وردة جميلة تزين الحديقة فيقطفها لينفرد هو بشمها والاستمتاع برائحتها ومنظرها ، هو طفل أنانى محب لنفسه . والشاب الذى يتطلع إلى جمال ليس له

http://coptic-treasures.com

فيشتهيه ويحاول النيل منه دون حق مشروع ، هو شاب أنانى لا يحب الجمال وإنما يحب نفسه ويسعى إلى إرضاء أنانيته . ذلك أن « لكل شيء تحت السماء زمان » [جامعة ٣ : ١] كما قال الحكيم. والحب هو فضيلة الفضائل التى تقابل الأنانية إحدى كبريات الرذائل . وليس سوى الحب كفيلا بتطهير الإنسان من أنانيته وانحراف رغباته. ولقد رأينا شباباً كثيرين حين يفوقون إلى أنفسهم بعد فترة انحراف طويلة ويتوبون ، ويتنقون ، تتغير نظرتهم إلى الجنس من أنانية واشتهاء ورغبة فى الإشباع بأية طريقة إلى حب وسمو وارتقاء . . . وهذا شاب يعبر عن هذا التغيير فيقول : « وأعجبت بقريبتى لأننى وجدتها على أخلاق عالية ، ذات جمال هادىء ، ثم أنها كانت تعانى ما أعانيه من ضيق ومتاعب فى البيت . . . واستمرت علاقتى الشريفة بهذه القريبة فاكتشفت أن الكثير من سلوكى السابق كان قذرا فجاهدت حتى أقلعت عنه » . . .

وبمجيء الرب يسوع إلى أرضنا ظهر معنى الحب بأكثر وضوح فزاد الانسان بهاء فوق بهاء ومجداً فوق مجد . ومن أقوال أحد المؤرخين « بظهور المسيحية ظهر قانون المحبة على الأرض » . لقد اتحد

الرب بانسانيتنا ليبطل بألوهيته عمل الخطيئة فينا ، ويعيدنا — بعد سقوطنا فى التعدى — إلى صورتنا الأولى : صورة السمو والكمال حتى نستحق أن نرث معه مجد الملكوت « المعد لنا منذ تأسيس العالم » [متى ٢٥ : ٣٤] .

* * *

من هنا تصبح للدوافع فى الإنسان قيم أخرى : فهى القوى التى أودعها الله فيه لحفظ شكل الوجود، وقيادة مسيرته إلى التقدم والنهوض أى إلى تحقيق قدر أكبر من السعادة وضمنا إلى زيادة اقترابه من الله والنمو فى معرفته والاستغراق فى حبه. . . وكما أن الخليقة بسر تكاثرها تنوعت فى الذكر والأنثى اللذين يكمل كل منهما الآخر ، هكذا خلق الإنسان أيضاً ذكراً وأنثى . ونلاحظ كلمة جميلة ومؤثرة تأتى بعد هذا التحديد إذ يقول الوحى الالهى : فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا » [تك ١ : ٢٧] ونلاحظ دقة الوحى الالهى فى التعبير عن أول سر زواج فى تاريخ الإنسانية إذ يقول « وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم » [تك ٢٢ : ٢٢]

http://coptic-treasures.com

وهكذا أضاف الرب إلى آدم بركة جديدة هى المرأة المعينة ، ولم يلبث آدم أن شعر بها ، واكتشف أنها من مثل طبيعته ، فقال « هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت » [تك ٢ : ٢٣] . وبالحكمة التى منحها الله له حدد العلاقة المستقبلية بينه وبينها ، أى بين كل زوجين ، وفيما سيكونان عليه من وحدة فقال « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » [تك ٢ : ٢٤] .

هكذا تحققت وحدة الانسان فى الانسان فى الإطار الإلهى ، وبالوضع الالهى الذى تأكد بمجىء الرب يسوع الذى وصل بالوحدة بين الإثنين إلى قمة الكرامة والمجد حين شبهها بالوحدة بينه وبين النفس ، أو بينه وبين الكنيسة [أفسس ٥ : ٢٣ — ٢٥] .

* * *

بذلك يكون الدافع الجنسى فى الإنسان ، قد استهدف فى ظل الأوضاع الالهية ، تحقيق البركة للانسان ، ووحدته فى زوجته من خلال وحدته مع الله نفسه ، تلك الوحدة التى وصلت فى مستواها المتسامى إلى شبه وحدة الله مع كنيسته .

ومن هنا تجمعت للرابطة الزوجية عند الإنسان ، والجانب الجنسى أحد جوانبها ، خصائص تميزها عن التزاوج والتكاثر عند بقية الكائنات ، فبينما تتجه هذه الكائنات إلى التزاوج بفعل الغريزة دون أى إدراك أو تمييز وإنما لمجرد الإشباع فقط ، وضمنا يتحقق التكاثر وبقاء النوع ؛ أى أن الحيوان يتناسل ويتكاثر دون أن يتعقل سلوكه أو يدرك ما وراء العلاقة الجنسية من هدف ؛ إذ بالإنسان لا يقف عند حد الإدراك وتعقل الهدف فحسب ولكنه ينتقل من هذا المستوى إلى الوحدة مع الله : أى تحقيق الهدف الإلهى والوضع الإلهى فى الحياة الإنسانية والمجتمع الإنسانى .

من أجل هذا حزن الله لما رأى انحراف الإنسان إلى معصية النجاسة وتزايد شره على الأرض و «أن كل تصور قلبه إنما هو شرير كل يوم » [تك ٦ : ٥] . يقول القديس بولس « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » [رو ١ : ١٨] .

ويقول أيضاً « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا . أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً . . . اهربوا من الزنى . كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة

http://coptic-treasures.com

هذا هو الجانب الفكرى للموضوع ، ونأتى إلى الجانب النفسى ، ولعلك تلحظ أيها الأخ الحبيب أننا ندخل الفكر الروحى بين عناصر كل جانب لتأتى الدراسة فى النهاية متكاملة شاملة .

المدخل النفسى : (١)

عرفنا أن لكل دافع ثلاثة عناصر : إدراك — وجدان — نزوع فكيف تتلاقى هذه العناصر فى الدافع الجنسى مع وصية الطهارة بحيث تتحقق صورة الله فى الإنسان ، ووحدته به وفيه ؟ .

إن الرغبة الجنسية انفعال طبيعى ، فطرى ، والمطلوب أن نحوّلها بالنعمة التى فينا إلى المسار الالهى والغاية الإلهية . لا نقمعها أو نقضى عليها ، فهى وزنة وقدرة لها وظيفتها الحيوية كما رأينا ، فى الوقت نفسه ، لا نستهتر بها ولا نستبيحها ؛ وإنما نمجد الله بالتسامى بها بإحدى وسيلتين :

إما بالتبتل ونذر الجسد كله قربانا على مذبح الخدمة والتكريس وهى وسيلة القلة من المؤمنين القديسين لأنها تسامٍ فوق الطبيعة ذاتها .

---

(١) من المفهوم أننا نتكلم هنا عن الأشخاص السويين العاديين .

عن الجسد . لكن الذى يزنى يخطىء إلى جسده » (١ كو ٦ : ٨) ذلك أن هذه المعصية تدمير لصورة الله داخل الإنسان .

نلحظ هذه النتيجة فى حياة شمشون الذى ملأه روح الله بالقوة فلما أسلم نفسه لحياة النجاسة مع دليلة أذلته وكسرت نذره حين أنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلق شعر رأسه الذى كان علامة النذر . فلما قام كعادته وهو يقول : « أخرج حسب كل مرة وأنتفض » شعر بعجزه عن المقاومة . يقول الوحى الالهى : « ولم يعلم أن الرب قد فارقه » [قضاه ١٦ : ١٩ ، ٢٠] . ومن هنا إذا استطاع الشاب أن يدرك ويميز الفكر الالهى وراء التكاثر والتناسل ، وأن الدافع الجنسى ما هو إلا وسيلة لإعلان بركة الله فى الوجود وتأكيد الرابطة بين الزوجين من خلال وحدتهما فى الله : سر وجودهما ؛ والكشف عن جلال الأبوة ، وبذل الأمومة ، وما يرتبط بهما من تضحية فى سبيل إمتداد الحياة فى أولادهم من بعدهم ، فلا شك أنه سيرى فى كل ما يرتبط بهذا الدافع من جمال وجاذبية وعواطف وانفعالات ترتيباً إلهيا مقصوداً لتتحقق غاية الله فى الإنسان .

* * *

http://coptic-treasures.com

انتقلت من مرحلة الإنفعال ، إلى السلوك أو النزاع أى مرحلة الفعل نفسه . يقول سفر التكوين : « فأخذت من ثمر الشجرة وأكلت » [تك ٣ : ٦] ويبدو أن آدم كان قد شاركها المرحلتين الأوليين إذ أنه لم يعترض أو يقاوم حين أعطته من ثمر الشجره ، وكان يجب ، وهو المسئول عن تنفيذ الوصية ، أن يمنعها . يقول سفر التكوين : « وأعطت رجلها أيضاً فأكل » [تك ٣ : ٦] فإذا عدنا إلى القديس يعقوب وجدناه يصل فعلاً إلى هذه النتيجة إذ يقول : ثم الشهوة (وهى التى تتمثل فى مرحلة الانفعال) إذا حبلت (أى وصلتها بذرة الإدراك نتيجة التطلع والنظر) تلد خطيئة (أى تصل إلى مرحلة السلوك أو النزوع أى الفعل نفسه) ، والخطيئة إذا كملت تنتج موتا (يعقوب ١ : ١٤ ، ١٥) لأن « أجرة الخطيئة — كما عبر الوحى الإلهى على لسان مار بولس الرسول — هى موت » [رومية ١٥ : ٢٢] .

فإذا أردنا أن نعطى ملخصاً لهذا المثال رأينا أن الصورة البصرية التى كونتها حواء ، تحولت أثناء مرحلة الادراك إلى صورة ذهنية أى إلى معنى . وتحت تأثير الاغراء إنتقلت الحركة النفسية من مجرد « تعقل » مضمون الصورة (وهو الشجرة) إلى « اشتهائها » ثم إلى

« الأكل منها » . وهكذا اكتملت الخطيئة . فماذا كانت الأدوات التى أسهمت فيها ؟ إنها :

١ — العين التى نظرت .

٢ — الفكر الذى تأمل وتعقل .

٣ — الوجدان الذى اشتهى وانفعل .

٤ — القدم التى سعت إلى الشجرة .

٥ — اليد التى امتدت وقطفت .

حقيقة لقد وجد عاملان للاغراء :

الأول : جمال الشجرة فقد كانت ، كما يقول سفر التكوين « بهجة للعيون ، وشهية للنظر » .

الثانى : إيحاءات إبليس وكلها إيحاءات كاذبة . لكن يجب ألا ننسى أن النعمة التى أعطيت لآدم وزوجته كانت كفيلة بصد هذا الإغراء لو أن حواء فطنت إلى أهمية الوصية وتذكرت هيبة الله معطيها .

ولو فعلت لحولت الإدراك إلى مجرى آخر ، ولتحول الانفعال من اشتهاء الشجرة إلى حب الله وضرورة طاعته ؛ وهذا يؤدى بالضرورة إلى قمع فعل التعدى لا السقوط فيه .

http://coptic-treasures.com

فإذا طبقنا هـذه الحقائق على الشهوة الجنسية وجدنا أنها تبدأ بالحواس على إختلافها : نظرة ، رائحة ، لمسة ... إلخ . وكل هذه مؤثرات خارجية .

لكن هناك أيضاً المؤثرات الداخلية : تخيل - تصور - عقدة - خبرة سابقة - فكرة تتداعى إلى أفكار أخرى شهوانية - وإلى هنا والمسألة لا تتعدى مرحلة الإدراك ، فإذا أسلم الشاب نفسه لهذه الفكرة فلا بد أن تتحول إلى شهوة . ولا يحمى الشاب من هذا الإنزلاق سوى نعمة الله الغالبة ، بالإضافة إلى تعقل تصرفه والتحكم فيه عن فهم ووعى وخشية الله كقول القديس بولس : « لا تستكبر بل خف »[رو ١١ : ٢٠] فيمتنع أصلا عن التطلع الآثم أى يطيع وصية الرب الذى يقول : « إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً » [مت ٦ : ٢٢] ولا تتعارض هـذه الآية مع الآية القائلة : « إن أعثرتك عينك فاقلعها » [متى ١٨:٩] فالمسيحية لا تريد بحال قلع العيون ، ولكنها تريدنا أن نقلع العين الدنسة ، العين الشهوانية ، ونستبدلها بالعين البسيطة ، العين الطاهرة ؛ وهذا ما عناه الرب حين حذرنا قائلا : « إن كل من نظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » [متى ٥:٢٨] وبلغة نفسية إنه يريدنا أن نقطع خط الرجعة على

وصول النظرة إلى مرحلة الانفعال والاشتهاء لأن هذا معناه حدوث فعل الزنا قلبيا . وهكذا خطّت المسيحية خطاً جديداً للطهارة إذ وقفت بالحركة الإنسانية عن الاستجابة للشهوة وإعطائها الفرصة لتنقل الفكر من مرحلة الادراك إلى مرحلة الانفعال أى الاشتهاء .

هذا فى حالة كون المؤثر خارجياً . أى آت من خارج الإنسان . أما إذا كان داخلياً أى صادراً من باطن الإنسان فهنا يعطينا ماربولس توجيها مسيحيا سديداً بقوله : تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم [رو ١٢ : ٢] وهو توجيه يؤكد ما قاله الحكيم فى القديم « فوق كل تحفظ إحفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » [أم ٤ : ٢٣] أى عنه تصدر مختلف الدوافع ذات الوظائف الحيوية التى تستمر بها الحياة . وقد أكد الرب نفسه هذه الوصية حين قال ... لأن ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان بل الذى يخرج منه . لأنه من الداخل ، من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل . . . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان [مر ٧ : ٢١ — ٢٣] فكيف نطهر الباطن ؟ .

http://coptic-treasures.com

أولا : الطفولة وتنقية اللاشعور(١)

نعرف أنه بفاعلية سر المعمودية يولد الإنسان الولادة الثانية الجديدة أى الولادة الروحية كقول رب المجد : « وإن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسدجسد هو والمولود من الروح هو روح » [يو ٣ : ٥ — ٦] وأنه بنعمة الميرون المقدس يصبح هيكلا لروح الله كقول القديس بولس الرسول : « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس » (١ كو ٦ : ١٩) .

فكيف نصون هذا الهيكل مقدساً ؟ بمعنى آخر كيف نحفظ باطننا طاهراً نقياً ؟

ولكى نوضح الخلفية النفسية لنقاء الباطن يلزم أن نسأل : ما هو باطن الإنسان ؟ أهو فقط أفكاره الداخلية التى تظهر آثارها فى سلوكه

---

(١) راجع سليمان نسيم — تاريخ التربية القبطية — الفصل السادس .

http://coptic-treasures.com

الخارجى ؟ الواقع إن الباطن أكثر شمولا من كونه مجرد فكر داخلى .

هنا نذكر أن الحياة الشعورية بكل مظاهرها (الادراك والوجدان والنزوع) تتحرك فى ثلاث مناطق :

— منطقة الشعور وتشمل المواضيع الأساسية التى يوجه الإنسان انتباهه إليها .

— منطقة هامش الشعور وتحوى الموضوعات الأقل وضوحاً . فمثلا إذا كنت تستذكر فى حجرتك بالمنزل . فالدرس ، وهو موضوعك الأساسى ، أو الرئيسى ، يكون فى منطقة الشعور ، أما صوت سيارة فى الطريق مثلا فيكون فى هامش الشعور .

فإذا أتينا إلى المنطقة الثالثة : وهى منطقة اللاشعور وجدنا أنها تشتمل الخبرات والذكريات التى رسبت منذ الطفولة ، بوجه خاص ، والتى لا نحب أن نظهرها إلى منطقة الشعور فنكبتها لا إراديا . هذا الكبت يؤدى عادة إلى ما يسميه علماء النفس « العقد النفسية » .

وقد شبه علماء النفس عقل الإنسان بماء جارٍ : فمنطقة الشعور هى سطح الماء الظاهرى ، ومنطقة اللاشعور هى أعماق هذا الماء ، بما تحتويه

من صخور وطحالب وزواحف ، أما شبه الشعور فهى المنطقة التى بينهما .

وفى اللاشعور — وهو الباطن العميق للانسان — تكمن المواقف والذكريات والخبرات المؤلمة ، كما تكمن المخاوف والصور المفزعة ، والكثير منها ربما يتحول إلى محركات لسلوكنا دون أن ندرى كنهه بالضبط . وباللغة الروحية تكمن أيضاً الخطايا المحبوبة لدينا التى ربما نشتهى عملها ولكن وجودنا فى مجتمع معين يحول بيننا وبين عملها . وقد نعملها إذا انتفى هذا القيد عنا ، كما لو ذهبنا إلى مجتمع آخر مثلا .

وفى اللاشعور أيضاً تكمن مشاعر الفشل والحرمان والنقص وصور العلاقات والمواقف التى مرت علينا ، لا سيما تلك التى بين والدينا وهى تكون أكثر ثبوتاً كلما حدثت فى مرحلة الطفولة المبكرة .

وقد ذكرنا حالة الشاب الذى كانت أسرته تخيفه من الكلام مع الجنس الآخر فنشأ وعنده « عقدة » إزاء أية فتاة حتى أنه كان يشعر بالخجل الشديد إذا طرق أصدقاؤه موضوعاً ذكروا فيه شيئاً عن الفتاة أو المرأة . بل إنه كان يرتبك إذا حدثته أية فتاة ؛ وما هذا

http://coptic-treasures.com

السلوك إلا نتيجة ما كمن فى اللاشعور من مخاوف إزاء الجنس زرعت فيه منذ الطفولة .

والطفولة هدية الله للانسانية فيجب أن ننهزها ، ونستفيد من خصائصها : كسعة الخيال ، والاستعداد للاستهواء والتأثير ، وللاستجابة للايحاءات المختلفة — لنحشد فى منطقة اللاشعور عند الطفل حتى سن السادسة صور المحبة والفضيلة والأمل من وحى سيرة الرب يسوع والآباء القديسين ، وأعمال الملائكة ، وطقوس الكنيسة وهى مليئة بالأفكار والاتجاهات التربوية المتجددة فى أعيادها ، وألحانها ، وأيقوناتها ، وشموعها ، وبخورها ، وقرابينها ، وأنوارها ، ومباهجها ، كما فى زفة الصليب ودورة أيقونة القيامة ، وحفل الشعانين ، وكذلك فى آلامها كما فى أسبوع الآلام ونلاحظ أن هذه الطقوس تتميز بأن الأسرة تستطيع أن تنقلها إلى المنزل ، لكن هذه الطقوس ليست لها قيمة فى ذاتها إلا إذا ارتبطت بالممارسة الروحية وبالسلوك المسيحى الحقيقى الذى يبرز معانيها الكامنة ويكشف عن مضمونها العميق — فوضع أيقونة للعذراء فى المنزل ، وإيقاد القنديل أمامها عمل مبارك ولا شك فإذا اجتمعت الأسرة أمام هذه الأيقونة للصلاة أصبحت للأيقونة وظيفة روحية وهو عمل مبارك أيضاً ؛ ولكن يبقى بعد ذلك

أن تسلك الأسرة بروح الصلاة فيتبادل أعضاؤها الحب والخدمة ؛ حينئذ تصبح الأيقونة مظهراً لمضمون روحى هو تنفيذ وصية المحبة ، وما الصلاة والأيقونة سوى التعبير الظاهر لتطبيق هذه الوصية . . . فإذا نشأ أطفالنا فى هذا الجو تشبعوا لا شعوريا ، ودون أن نبذل جهداً كبيراً معهم ، بالصور القدسية ، وبذرت فى أعماقهم بذور الحب ، حب الجميع بلا تعصب[1] . وحب العبادة ، وإكرام القديسين ، مع الربط ، لا شعوريا أيضا ، بين هذه كلها وما عليه الأسرة من تعاطف وترابط ... ومما لا شك فيه أن زيارة الأب الكاهن للأسرة ورؤية أطفالها له وهو يصلى ، ويبارك ، ويقدس ، تؤكد ما بدأته الأسرة ، وتدعم القيم التى تعيشها وتوجه أطفالها إليها . . .

بالإضافة إلى هذا ، نذكر أن المسيحية تحيط الطفل بجو الاستقرار العائلى حيث أنها لا تسمح بالطلاق أو بتعدد الزوجات فتحقق له الشعور بالأمان والحب والعطف والتقدير والحرية ، وتزرع فيه

---

(١) يقول القديس بولس الرسول : « فحسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما أهل الايمان .

http://coptic-treasures.com

العادات الروحية بما يتفق مع سنه وإدراكه . فيتقبل نفسه ، من خلال نظرة الأسرة له وتعاملها معه بهذا الأسلوب مما يكون أساساً نفسيا قويا للسلوك المرغوب فيه بعيداً عن مشاعر الذنب والنقص والفشل .

كذلك من هذه الوسائل والعوامل جميعا ، نضمن أن تتكون للطفل خلفية روحية واقعية — تماما كالمظلة الواقعية بلغة الحروب المعاصرة — يمكن أن تقوم عليها — مع تطور النمو — قيم حب الله والكنيسة ، وما يصدر عنهما من وصايا . وأنا لا أدعى أن حشد اللاشعور بهذه الصور والأفكار كاف وحده بتكوين الشاب الطاهر . ولكننى أقول إن لهذه الصور والأفكار تأثيرها فيما بعد لأنها تغرس فى مرحلة التقبل والاستقبال ، وفى فترة التأثر بالإيحاء والاستهواء وعلى الكنيسة والمدرسة والاسرة أن تتابع وتتعهد بعد ذلك وأعتقد أننى فى غنى عن التكرار بأن الاسرة المسيحية ، التى أحبت الله والفضيلة كفيلة بأن تجنب أطفالها الكثير من الاتجاهات الخاطئة إزاء الجنس ، منذ الصغر ، وأن تحيطهم بالقدوة الفاضلة مصلية من أجلهم أن يحفظوا ويصونوا صورة الله المقدسة فى داخلهم . . . والكنيسة مسئولة ولا شك عن توجيه الاسرة والأخذ بيد الوالدين

http://coptic-treasures.com

فى تدعيم القيم المسيحية داخل نفوس الاطفال لينشأوا مهيئين لفترة شباب طاهرة ، يتفرغون خلالها لتثبيت ما تلقوه فى مرحلة « الطفولة » من روحيات ، لا المعاناة من عقد وإضطرابات تسبب لهم ولا شك الكثير من الضيق والارتباك .

ثانياً : الصبوة وأسس التربية الجنسية المستنيرة[1]

ومن سن السابعة حتى الحادية عشرة تبدأ مرحلة « الإجتماعية » فيصبح للصبى أصدقاء يلعب معهم ، ويرافقهم إلى المدرسة ، وينسى معهم بعض أنانيته إذ بمشاركته لهم ، ومشاركتهم له ، يخرج عن ذاته إلى مجتمع أوسع ، ومفروض أن الأسرة تضع بذور حب الآخرين والإهتمام بهم ؛ فى نفوس أطفالها منذ الطفولة المبكرة أى منذ سن السنتين ؛ فلهذا أكبر الأهمية فى غرس عادة إحترام الغير ، وأعتبار مشاعره وكرامته ، والمبالاة لحريته وملكيته .

وهذه هى جذور الولاء الإجتماعى ، أى للشعور بالقيم الإجتماعية وأهميتها ودورها فى قيام المجتمع الناجح المترابط .

وفى هذه المرحلة يبدأ تطلع الطفل إلى الطبيعة المحيطة به

---

(١) راجع :

— سليمان نسيم ـ كمال حبيب : فى التربية المسيحية
(الناشر مكتبة مجلة مرقس)

— د . عبد العزيز القوصى : قصة الحياة فى جميع الأحياء
(الناشر مكتبة النهضة المصرية)

بكل مظاهرها من فلك وسماء ، وبحار وأشجار وإلى مختلف الكائنات التى تعيش بها وتتحرك فيها ، فينزع إلى الإستطلاع الذى يأخذ شكل العديد من الأسئلة . وهذه فرصة المربى الثمينة لإشباع هذا الإستطلاع بالإجابات الحكيمة المدروسة فى غير ملل ، ولا بد أن ستتضمن أسئلة الطفل استفساراً عن سر الوجود، وطريقة المجىء إلى الدنيا ، وهنا يمكن بالتوجيه المستنير أن يحصل الطفل على المعلومات الجنسية المناسبة لإدراكه بلا كذب أو خوف أو مواربة . ونلاحظ أن من خصائص الطفل فى هذه المرحلة حبه للحيوانات والطيور ، وميله الشديد إلى مصادقتها والعناية بها ، بإطعامها وتنظيفها والجلوس إليها للتعرف على خصائصها وطباعها وطريقة معيشتها ، ويمكن للمربى أن يجعل من هذا الميل وسيلة لتعريفه بحقيقة وجود الذكر والأنثى ، وحقيقة التكاثر والتناسل ، ليس فى الحيوان والطير فقط ، بل وفى النبات أيضاً ، فسيتقبلها الطفل بلا إنفعال ، سيتقبلها تقبلا بريئاً ، من مصدر نقى هو الأسرة ، وسيفتح هذا باب السؤال عن الإنسان فنربط تدريجياً بين هذه الحقائق الطبيعية وبين عمل الله فى خليقته ؛ وهكذا نضع أساس تقديس الفكر إزاء حقيقة لا داعى للهرب منها لأنها جزء من صميم حياتنا ، ووظيفة حيوية لها أهميتها وخطورتها ، وبدلا من أن نسلك

http://coptic-treasures.com

سلوك النعامة فنتجاهلها . ونترك أولادنا يحصلون على معلوماتهم عنها من مصادر غير نقية،من الأفضل أن نبدأ بها مبكرين فى أسلوب علمى روحى مستفيدين مما أودعه الله فى الطفل من ميل للكشف عن أسرار الطبيعة فى سمائها وأرضها ومياهها وطيورها وزواحفها وحيواناتها . وكيف يمكن لأى أم أو أب أن يعتذرا وقد منحهما الله طفلا بريئاً خالياً من الشعور بالشهوة الجنسية لفترة لا تقل عن عشر سنوات ؟أو أليست هذه حكمة إلهية ذات مقصد لا يخفى على الحكماء هو أن نهيىء أولادنا تهيئة طاهرة لحياتهم المقبلة ونملأ عقولهم الباطنة (أى لاشعورهم) بالصور والأفكار والخواطر الصحيحة حتى تكون قاعدة لحياة ناجحة فيما يلى من مراحل نموهم ؟؟ .

ولا عذر لأحد بكيف أبدأ ومتى وماذا أقول فوسائل الإعلام بمختلف أنواعها من مطبوعات وإذاعة وصحف بل وكتب العلوم والأحياء المدرسية تزدحم بالمعلومات المستفيضة والدراسات الوافية لهذه الموضوعات . والمهم ليس فى مجرد أعطاء المعلومات ، وإنما فى شعور الطمأنينة الذى يقترن بها والذى يكتسب منه الطفل شعوراً طبيعياً إزاء الجنس ، مقترناً بشعور إحترامه وتقديسه لعمل الله فى خليقته بأنواعها المختلفة ، ولما فيها من جمال وبركة ، وتعثرنا بالتالى بتوفيره

لأنسانيته وإنسانية غيره ، صغر أم كبر ، وضرورة محافظته على عفتها وطهارتها . . .

ويؤكد هذا التوقير والتقديس سلوك والديه وعلاقة الحب والإحترام المتبادلة بينهما ، ومظاهر الحب العميق النابع من الوالدية والأمومة مما يعطى لمفهوم الجنس لديه معناه الواسع الشامل . وبدلا من أن يستمع إلى هذا أو ذاك ، ويكون سلبياً فى موقفه ، يتحول إلى الإيجابية فيصحح ويفيد ، ويبنى وبالتالى يشعر بقيمته وإنسانيته إنعكاساً لما تلقاه عن والديه ، وأنطباعاً لجوه الأسرى والعلاقات السائدة فيه .

وما نقوله للأسرة نقوله لخدام التربية الكنسية ومدرسى الدين ، فبما لهم من تأثير على تلاميذهم يمكنهم توجيههم توجيها مستنيراً فى هذه الأمور .

http://coptic-treasures.com

ثالثاً : المراهقة والإعداد للحياة الطاهرة الثابتة[1]

بعد مرحلة الصبوة — أو الغلومة — ويمكن أيضاً تسميتها الطفولة المتأخرة — التى يعيشها الصبى مع الطبيعة ، كما رأينا ، مستطلعاً مظاهرها ، باحثاً عن بعض غوامضها بما يوجهه من أسئلة واستفسارات لمن حوله يعود فى مرحلتى المراهقة والبلوغ أو بين سن ١٢ ، ١٨ .

---

(١) راجع :

١ — د . عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية — وبالذات الفصول الخاصة بالمراهقة والتربية الجنسية — الناشر : مكتبة النهضة المصرية

٢ — كمال حبيب : حياة العفة — الناشر مكتبة مجلة مرقس

٣ — بيت الشماسة بالجيزة : أسئلة الشباب حول العفة — مكتبة التربية الكنسية بالجيزة

٤ — دكتور فايق الجوهرى : الشاب والجنس — سلسلة كتب للجميع

٥ — دكتور صبرى جرجس : التربية الجنسية

٦ — التربية الجنسية : ترجمة : رفعت رمضان و د . نجيب اسكندر — مراجعة د . اسحق رمزى — الناشر دار المعارف

٧ — الحب المقدس : ترجمة لأقوال الآباء — القس تادرس يعقوب — مكتبة كنيسة مار جرجس باستبورتنج

٨ — أعداد مجلة « طبيبك الخاص » من يناير حتى الآن — الناشر : دار الهلال .

إلى نفسه يتفهمها ويتعمقها يريد أن يصل إلى أغوارها البعيدة فى ضوء التغيرات الجديدة التى حدثت له ، ولذلك كثيراً ما يخلو إليها فتحمله ويحملها على سحابة الأحلام لينطلقا بعيداً بعيداً فى الكون الفسيح إلى عالم المستقبل والحب والأمل العريض الذى بلا حدود .

ونجد هذا فى طبيعة تفكير الشباب يسجلونه فى مذكراتهم فيقول أحدهم : « وأسئلة عقلية أخرى كانت تراودنى : من أنا ؟ لمن أنتمى ؟ ما القيم التى أؤمن بها ؟ ماذا يمكننى أن أفعل ؟ ما قيمتى لنفسى وللآخرين ؟ ما نواحى قوتى وضعفى ؟ ولا أجد إجابة لهذه الأسئلة إلا فى الخيال والاستغراق فى أحلام اليقظة ، والنتيجة كثرة العزلة والأنفراد والسرحان فى المال ومصادر القوة والحب والزواج » ...

+ ويقول آخر . . . « عندما بلغت الخامسة عشرة من عمرى كنت أنظر إلى الأشياء ولا أدعها تمر مرور الكرام بل أسأل نفسى دائماً لماذا خلقت ؟ أو لماذا وجدت على هذه الصورة ؟ . . . وكان تفكيرى دائماً يتعثر لأشياء رأيتها فى هذا السن دون أن استطيع تفسيرها » .

http://coptic-treasures.com

عقلية على جانب كبير من العمق إذ أنها عملية تأمل دقيقة للنفس ، وما انتقل إليها من خبرات فى المراحل السابقة ، مقترنة بعملية أخرى لا تقل عنها أهمية وهى تقييم هذه الخبرات . والنفاذ منها إلى الحكم على وضع الإنسان ككل داخل هذا الكون ، ومحاولة استعماق سلوكه وأفعاله والرغبة فى معرفة أصولها وأسبابها ونتائجها ولا يقف هذا التأمل والاستعماق عند حد الوجود فى هذا العالم وإنما يعبره إلى العالم الآخر فيفكر الشاب فى المصير الأبدى ومدى صحته . ويسأل نفسه كثيراً ، وتبلغ به الحيرة كل مبلغ ، بل ويأخذ به القلق أحياناً خاصة إذا لم يجد المرشد الموجه الذى يقنعه .

ولا يقف تفكير الشاب ، بطبيعة الحال ، عند حد الأمور العقلية ، ولكنه يفكر ولا شك فى الأمور الجنسية ، فى الحب والزواج والعلاقات مع الجنس الآخر ، وكما أنه تساءل هل الانسان مسير أم مخير هكذا يتساءل أيضاً ما المقصود بالنجاسة ؟ وما معنى الشهوة ؟ وهل الحب خطأ واذا كان خطأ فلماذا وجدت عاطفته ؟ ولماذا خلقنا ذكراً وأنثى ؟ وما دام إشباع الشهوة كما يوافق عليه الدين والمجتمع لا يتحقق إلا بالزواج فلماذا نحس بها قبل الزواج بمدة طويلة ؟ . . . .

http://coptic-treasures.com

أسئلة كثيرة تقلقه ولاشك ، وتعوزه الإجابة عنها بالتفصيل والإسهاب ليقتنع ويؤمن . . . . ولعلها تتبلور فى محاولة تكوين علاقات مع الجنس الآخر . والواقع إن الشاب ، لا سيما فى الآونة الحاضرة ، يجب أن يكون على مستوى المسئولية . إن هذا التعلق إذا وضع تحت بصيرة مستنيرة عاقلة لظهر سؤال واضح : وماذا بعد ؟ ولنا فى الحالة الآتية مثال واضح يؤكد أهمية توفر هذه البصيرة .

يقول الشاب صاحب هذه الحالة : « وأذكر أننى كنت منهمكا فى المذاكرة ، وبعد فترة من الوقت قمت استنشق نسيم الهواء وقت الغروب ونظرت من النافذة فرأيت فتاة تجاوزت الرابعة عشرة تنظر إلىّ وابتسامتها العريضة على شفتيها ، ثم لحظات وأحضرت قطتها الجميلة وأخذت تداعبها وتحتضنها لتلهب مشاعرى .

وقتها أخذت أفكر شارد المشاعر : هل ابتسم واستجيب لإبتسامتها ؟ وماذا بعد ؟ هل أسر فى الطريق من إعجاب إلى حب ، أم أقف ساكناً غارقاً فى تفكيرى ؟ .

وما هى إلا لحظة حتى كنت قد وصلت إلى الحل فقد اتضحت أمامى معالم الطريق .

وهذا شاب آخر يقول : « كان لى من وازعى الدينى والخلقى عاصماً يمنعنى من أن أرتكب أى خطأ . . . وكان والدى يراقبنى عن بعد . وحين كنت أخطىء كان يوجهنى إلى الطريق السليم دون أن يمس كرامتى أو يجرح شعورى ودون أن أشعر بالامتهان حتى فى سن المراهقة بالرغم مما فيها من تغيرات . وعلى هذا شعرت بكيانى وسط الأسرة .

وفى سن المراهقة بالذات كان والدى ، لسبب أو لآخر ، يجعلنى نائباً عنه فى جميع أمور أسرتنا ، ويبدو أنه كان يريدنى أن ازداد ثقة بنفسى وبشخصيتى . وهكذا كانت معاملته مع إخوتى . ولذلك خرجت بأن من أهم العوامل التى تساعد الشاب على أن يخرج من محنته هى ثقته بوالديه وثقة والديه به ، بشرط أن لا تكون حرية الابن زائدة عن الحد » (انتهى كلام الشاب) .

ولا يحتاج هذا الكلام إلى تعليق فنحن هنا أمام أسرة حكيمة كان لمعاملتها أكبر الأثر فى إشعار ابنائها ، وهم بعد صغار ، بكرامتهم كما نمت فيهم الوازع الدينى والخلقى فكان اجتيازهم لمصاعب المراهقة هيناً سوياً .

وهذه الحالة ثالثة لكنها تضم موقفا أكثر تفصيلا . . . يقول صاحبها : « أثناء وجودى بأحد المصايف مع العائلة تعرفت إلى إحدى الفتيات التى كانت تسكن إلى جوارنا فكنت أذهب معها للنزهة على الشاطىء مساء حتى أوشكت أن أغير من أخلاقى الطيبة . لولا أن وصل الخبر إلى أمى التى نقلته بدورها إلى أبى الذى كنت أعمل له ألف حساب .

وقد ظننت أنه يثور فى وجهى وأنه سيعود بنا من المصيف بمجرد سماعه هذا النبأ ولكنى فوجئت بموقف انسانى تربوى لن أنساه منه طالما حييت .

فقد أخذنى والدى بعيداً عن الأعين الفضولية التى كانت تترقب ثورته ، وأخذ فى مصارحتى حتى جعلنى أعترف له أنا الخائف منه ! ! ثم أخذ ينصحنى ويرشدنى إلى الطريق الصواب .

وقد أثبت أنه على فهم بمشاعر الشباب ، وهذا ما شعرت به أثناء حديثه معى وكان أن أعتدت على مصارحته بكل مشاكلى سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، لأننى لم أزل قليل الخبرة بالنسبة له ، ولأنه كان خير مَن يسدى إلىّ النصح ... لذلك فأنا أرى أن فترة

http://coptic-treasures.com

المراهقة مرت عندى بسلام وبدون أى نوع من أنواع الانحرافات الشاذة ، أى أنها كانت مراهقة سوية لم أتعرض فيها لمشاكل كثيرة أو معقدة » . . . . والشاب يعترف هنا أن لوالده أكبر الفضل فى توجيهه بمواقفه التربوية السديدة ، وطريقته الحكيمة فى الحديث إليه منفردين بعيداً عن « الأعين الفضولية » حتى لا يحرجه وبذلك عبر مرحلة المراهقة دون مشاكل لأنه اعتاد أن يصارح والده بما يقابله من صعوبات فيعطيه والده فيها الرأى السديد الحكيم . .

ولقد أجرى بعض الباحثين دراسة[1] من واقع مذكرات الشباب وتمكن من حصر الكثير من العوامل التى تؤدى بالمراهقين إلى التغلب على مصاعب هذه المرحلة ، وقد لخصها فى :

— المعاملة الأسرية المعقولة بالجمع بين الحزم والرفق .

— إتاحة قسط وافٍ عن الحرية والتقدير للمراهق .

— الاختلاط بالجنس الآخر عائليا فى جو من الاحترام والقدسية .

— تشجيعه على ممارسة هواياته .

— موقف الآباء كموجهين .

(١) د . صموئيل مغاريوس — أضواء على المراهق المصرى — الناشر : مكتبة النهضة المصرية .

— انتقاء الأصدقاء .

— كفاية المصروف اليومى .

— إشراك الشاب فى مجالات الخدمة الدينية والرياضية والاجتماعية

— وضوح قدوة الوالدين واستقرار العلاقات الأسرية .

هذا من الناحيتين النفسية والإجتماعية — فماذا عن الناحية الروحية ؟ لقد ذكرنا أن المسيحية تستهدف تكوين الإنسان الجديد ، وبينا كيف أن هذا الإنسان الجديد يولد الولادة الروحية ، فيتسلح بالنعمة ، ويبقى أن تعمل الأسرة والكنيسة ، والشاب نفسه ، على صون هذه النعمة والنمو فيها وبها . ولعل من أهم مظاهر النمو فى النعمة تدريب الإرادة على الحياة الفاضلة . يقول القديس بولس « تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه . أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل . فى كل شىء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن استفضل وأن أنقص . أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » [فيلبى ٤ : ١٢ ، ١٣] ويتوجه هذا القديس المختبر إلى تلميذه تيموثاوس بنصيحة هى نصيحة لكل شاب : فتقوَ أنت يا إبنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٢ : ١) .

http://coptic-treasures.com

إن عمل النعمة فى حياة الشاب الطاهر عمل معجزى فهو ينقله عن مستوى الإيمان إلى مستوى القديسين والشهداء. فليس الاستشهاد هو تقديم المؤمن نفسه للموت فقط، ولكنه طاعة الوصية والفناء فيها وقطع الطريق على كل شر وشبه شر، وهذا يتطلب جهاداً، وصلباً للأهواء، وتسامياً بالانفعالات لترتقى إلى المستوى اللائق ببنوتنا لله. وهكذا فى احتمالنا وصبرنا وصلبنا لأهوائنا كقول القديس بولس: «الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» فإننا نقدم أعضاءنا آلات بر لله لتثمر فى المسيح الذى حررنا من سلطان الخطيئة والشيطان. وهذا هو إيماننا: أن الذين معنا أكثر من الذين علينا، وأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، وأنه حتى لو سقطنا فبالنعمة التى فينا سرعان ما نقوم ونتابع الجهاد، لأن رئيس هذا العالم حتى لو أتى فليس له فينا شىء.

لقد وهب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط بل أن نتألم أيضاً لأجله فمن أجله نمات طول النهار، ولا يعنى هذا أننا نفنى، إنما نجاهد، «لأنه لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً»

نجاهد حتى لا نخطىء. فالمولود من الله لا يخطىء ولا يقدر إبليس أن يمسه، ونجاهد لكى ننتصر فأنتصارنا علامة أكتمال حبنا للمسيح الذى نحبه لأنه أحبنا أولاً. نجاهد لأننا إن أخطأنا فكأننا نصلب إبن الله ثانية، وكيف يهون علينا أن نصلبه؟ نجاهد لأننا فى النهاية سنصل إلى الملكوت كما يقول يوحنا الرائى «من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى» . . . .

لذلك اتسم الجهاد المسيحى بالهرب من الخطيئة، ليس عن خوف ولكن عن قوة. فمواجهة الخطيئة إشباع لقوى الفطرة فينا. وهذا هو الاستسلام للخطية. أما تجنبها والهرب منها فهو علامة الحب الحقيقى للمسيح وسمة الجهاد الروحى والقوة التى يتصف بها أولاد الله الحقيقيون . . . .

ولو تأملنا سيرة يوسف الصديق لوجدناه قد هرب من الخطيئة التى لما طاردته فى شخص زوجة فوطيفار «ترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج إلى خارج» [تك ٣٩: ١٢] لأن الخطيئة خاطئة جداً، وأجرتها موت. ولذلك ينصح القديس بولس تلميذه الشاب تيموثاؤس قائلا: «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها» [٢ تى ٢ : ٢٢] لكنه لا يقف

http://coptic-treasures.com

به عند حد الهرب فالهرب هو الأسلوب السلبي إنما يكمل توجيهه إيجابياً فيقول « واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي » لأنه — كما قال ربنا له المجد — « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » . .

إن الإرادة الإنسانية فى المسيح تتحول إلى قوة غالبة ، وإلا لما طلب منا الرب أن نكون كاملين ، وأن نكون نوراً للآخرين .

وكما أنه أمرنا بالكمال هكذا أعطانا النعمة التى تقوينا على تحقيق هذا الكمال . . . يقول القديس بولس : « أنا ما أنا ولكن نعمة الله التى معى » ، كما يقول : « شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » ، وقد تمم الرب بفدائه أن نتحرر من سيطرة أجسادنا وأهوائنا فيقول لنا : « إن حرركم الإبن فبالحقيقة تصيرون أحراراً » . أما القديس بولس فقد كشف عن التطبيق العملى لهذه الحرية حين قال « كل شىء يحل لى لكن لا يتسلط علىّ شىء » [١ كو ٦ : ١٢] .

بقى بعد ذلك سؤال يطرح نفسه ، وماذا عن الشاب الذى لا يجد هذه العوامل المشجعة؟ إننا لمثل هذا الشاب بالذات نكتب هذا الكتاب

لعله يستطيع من خلال ما فيه من دراسة أن يواجه نفسه وينتقى مرشداً صديقاً يصارحه ، وأباً روحياً يوجهه ويصلى من أجله . والظروف — أى ظروف — مهما إستطالت مدتها ، غير دائمة ، فلا بد أن تتغير ، ومع ذلك فيمكن للشاب أن يستعين بإخوته من أصدقاء وخدام التربية الكنسية على إحاطته ببيئة جديدة يعيد فيها تشكيل شخصيته وتدريب نفسه على الفضيلة بالصلاة ، والصوم ، والتوبة الصادقة ، وقراءة الكتاب المقدس ، والكتب الروحية ، مع شغل وقت الفراغ ، والإنطلاق إلى بعض أنواع الرياضة والهوايات ، والدراسات الجادة ، والإتجاه إلى خدمة بعض العائلات المعوزة ، فالعمل النافع يؤدى بالشاب إلى زيادة أحترامه لنفسه وتجنبه لمواطن الزلل وأصدقاء السوء . ولقد وجد الكثيرون من الشباب فى صداقة الأب الكاهن ، وإخوة التربية الكنسية [1] ، بديلا ناجحاً لما قد فشلوا فيه فى محيط أسراتهم ومدارسهم ، كما وجدوا فى لقائهم مع المسيح نقطة بدء جديدة لحياتهم فنسوا الماضى بأخطائه وضعفه وانحرافاته وخطوا لأنفسهم خطاً جديد جديداً بكل ما تحمل الكلمة من معنى .

(١) لعل الوقت يكون قد حان للاخوة الأحباء قادة وخدام التربية الكنسية ليعيدوا النظر فى مناهج تعليم الشباب ، وأن يجعلوا من النادى والمعسكر وسيلتين ضمن وسائل التربية الروحية لكى يعطوا الشاب فرصة ممارسة الحياة الروحية والتدريب عليها عمليا . ولنا فى هذا الموضوع عودة أوسع .

http://coptic-treasures.com

http://coptic-treasures.com